



بقلم عبد المنعم عبد القادر

الناشر : الشركة العربية للنشر والتوزيع

حكايات شهر زاد
بعد ألف ليلة وليلة

حكاية المحبوب بيكى
الليالى من ١٠٠١ - ١٠١٧

عبدالمنعم عبدالقادر



الناشر
الشركة العربية للنشر والتوزيع
١٩٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

قل ما أسئلكم
عليه من أجرٍ إلا من
شاء أن يتخذ إلى
ربه سبيلا *

"صدق الله العظيم"

سورة الفرقان الآية (٥٧)

الغلاف للفنان / زهران سلامة

مقدمة الناشر

من بلاد " كانيا ما كان " تعود إلينا " شهر زاد " لتحكى ألف ليلة أخرى ؛ كاشفةً لنا هذه المرة عن مستويات عالمها / عالمنا ؛ الذى ضم " شهريار " و " شاه زمان " وغيرهما من الأجيال ، من قبل ؛ ومن بعد ، فى تلك البلاد القديمة الكائنة فى الزمان بين حدّين : أحدهما للملك ، والآخر للملكوت ، يتنازعان فعل الإنسان ، فى مملكة " ماشاء كان " و ماشاء يكون " .

والشركة العربية للنشر والتوزيع إذ تقدم الجزء الأول من هذا العمل الكبير ، تؤكد أن روح المعاصرة ، التى يصدر عنها الكاتب ، تعبر عن أشواق إنسان هذا العصر المضطرب ، وتري أن القارئ ، إذ يلتقى بهذا العمل من الأدب الرفيع ، سيلتقى مع قضايا عصره ، فى آنية تراثيه ، باعتبار أن ثمة قواسم مشتركة بين قضايا الإنسان في كل العصور التى انتظمت حركة التحضر .. ومظاهر المدنيه ..

وإن هذا اللقاء كفيل بإقناع القارئ بمتابعة الأجزاء التالية ، فعلى صعيد النظرة المتكاملة إلى هذا العمل الأدبى فى أجزائه جميعها ، يمكن للقارئ والناقد أكتشاف المستويات الثرية لبوح كاتبه ، والشركة العربية للنشر والتوزيع تكتفى بالقول بأننا نلتقى هنا بعمل أدبى فريد،جدير بالقراءة والاقتناء ،

محمد ابراهيم الحمرى

أول ديسمبر ١٩٩٢ .

الإمتاع والمؤانسة فى دار الحياة

دكتور / أحمد يوسف

عبد المنعم عبد القادر مبدع هذه الحلقات من دراما الروح والجسد والارض كاتب فياض ، مثل النحلة الشغالة ، شفوفة بامتصاص كل رحيق طيب واختزاله ، حتى إذا أجاءها المخاض ، تأوى إلى زاوية ، منعزلة من العالم الرحب الفسيح ، لنرى ماصنعته ، عالماً أشمل رؤية ، واكثر تركيزاً ، وأوسع مفارقة للعالم المعروف . كاتب له آلاف العيون ، والآذان والأنوف ، وغير ذلك من الحواس ، يرسلها فى أعماق التاريخ البعيد فتراه حياً قريباً ، ملتصقاً ، بتاريخنا القريب ، ،حاضرنا المشتبك ، المختلط ومستشعراً عن قرب حالة المستقبل الذى نعانيه فى حاضرنا ، ونصنعه .

بينه ، وبين حواسه ، صداقة عجيبة ، خلقت له ، ألفة أعجب مع مفردات اللغه . هذا الكاتب الفياض ، الذى شابت على أرضه الليالى ، لم تجر قدمه الألقاب ، ولا خطفت بصره الأضواء ، ولا زعزعت روح التأمل عنده ، تسابق الآخرين من أبناء جيله ، وهو يملك المقدرة على السباق والتسابق ، واحتفظ لعقله بالهدوء الصوفى ، ولروحه بثبات

اليـقين ، لذلك لم يقدم للقارئ من ثمـار حداثقـه الا "حيـرة الفـرعـون" مجموعة قصصية قصيرة ، و«أحزان أو زير» ديوان شعر ، و" الفيضان" مسرحيتـه طقوسية ، وعدداً آخر من المقالات المتفرقة فى موضوعات متباينة .

وهذه الأعمـال التى نشرها ترتد كلهـا الى غرامـة الأزلى بالآباء الأولين ، الذين علموا الدنيا ، أيام أن كانت ظلاماً ، وروضوا النهر فجعلوه إنسانا ، أحبوه ، وأحبهم ، ونشأت على ضفافه كثير من تجليات هذا الحب واقعاً واسطورة . ولم يفعل هؤلاء الآباء ذلك إلا بالسر الكونى الذى اكتشفوا أوله فى الأرض وآخره فى السماء ، فتيسر لهم حينئذ إدراك وحدة الكون التى يرتد اليها كل جزئياته . ومازالت تجليات هذا السر بازغة أمـام العـالم فى الأهرام والمعـابد وأبى الهـول ، والمكتشفات الأثرية الأخرى .

ومع أن هذا الغرام عند " عبد المنعم عبد القادر " بالآباء الأولين غرام أزلى فانه لم يكن غراما انتقالياً ولا منفصلاً عن وعيه بأهمية التجادل المشروع بين حلقات التاريخ الكبرى لوطننا . إنه يبحث عن الجذور ليرصد سريانها فى جسم الشجرة الأكبر ، لأن من يدرك كيف كانت بدايته ، وما طرأ عليها من تحولات ، يستطيع أن يدرك كيف

تكون نهايته ، وأقصد بذلك ، يستطيع أن يدرك إلام يسير ، والآم ينتهى المسير ؟

- ١ -

والعمل الذى بين أيدينا يأتى حلقة من حلقات هذه الرؤية ، لا يقف بالقارئ عند فترة تاريخية محددة ، ،لا يخاطبه انطلاقاً من مستوى ثقافى واحد معروف ومكتوب ، ولايستخدم من مستويات التعبير باللغة ، مستوى معينا ، إنه عمل ينهض على حرية الحركة فى الزمان ، والمكان ، ومن ثم مشروعية الخطاب اللغوى والثقافى ، فالثقافة المكتوبة ، كاللغة المكتوبة لا تنفصل فى وجدان الانسان عن ثقافته الشفاهية المنقولة ، ولا عن لغته اليومية العفويه ، انما تتمايز الثقافة ، كاللغة بوظيفتها فى حياة الانسان ، فرداً وجماعة ان كانت وظيفة خلاقة للوعى كاشفة للزيف او ان كانت ثقافة منحازة أو تبريرية .

كما ان هذا العمل الذى بين أيدينا ، لا يتوجه لقارئ بعينه ذى مستوى محدد وسن محددة . ولكنه يتوجه للقارئ الصغير مثل الكبير ، والبسيط مثل المركب ، صاحب الخبرة الواسعة ، وصاحب الخبرة القريبة المباشرة .

واعتقد ان عملاً هذه طبيعته ، ما كان لينهض لو لم يوفر له مبدعه ، اطاره الذى يعطيه كل هذه الحرية فى التوجه والخطاب . كان ذكياً إذ اختار من ألف ليلة شخصيتى شهرزاد ، وشهريار وهما شخصيتان يجدان الطريق معبداً الى قلب كل قارئ ان فى الشرق او فى الغرب اولاً للبعد التاريخى والأسطورى والانسانى الذى يمثلانه . وثانيا للتوازى الرمزى الذى ينشأ لدى القارئ رجلا كان او امرأة حينما يقرأ او يشاهد شهريار او شهرزاد فالعلاقة أبدية بين الرجل والمرأة وتقع فى إطار من فحولة الرجل وذكاء المرأة وحيلتها ، فاذا كانت زوجة شهريار قد خانته مع عبده أثناء زيارته لأخيه ، ومن ثم رأى أن الخيانة قدر لازم على كل النساء فصار ينتقم لكرامته من كل امرأة يتزوجها بقتلها ، فان شهرزاد لم تكن إلا امرأة ذكية قادرة رأت أن قوتها ليست فى أنوثتها فقط بل فى إنسانيتها اى فى قدرتها العقليه بوصفها انسانا فى مواجهة انسان آخر يبطش بنوع النساء وهذا معنى حضارى بناء يغير من نظرة الرجل الى المرأة بوصفها مكان متعته فحسب ، ويغير من نظرة المرأة الى نفسها بوصفها كائنا ذى درجة أقل وأدنى .

فاذا كان العرف الاجتماعى قد أعطى الرجل المقدرة دائما على التعلم والمعرفة والمسئولية ، ورتب له حقا على المرأة يجعلها من حريم

الرجل واملاكه فان سلوك شهرزاد كان منطقا مضادا لهذا العرف إذ استطاعت ان تروضه الى رجل مستأنس ، حليم ، متمدن ، ومن ثم تمكنت شهرزاد - المرأة - ان تكتسب العلم ، ويتوفر لها به المقدرة وان تواجه القوة والبطش بالعلم والعقل ، وان تؤكد دور المرأة من منظور حضارى ومن ثم نفت ما رسخه العرف الاجتماعى .

ان شهريار ، وشهرزاد هما كل رجل وكل امرأة على مر الازمان وهما الرمز الحى المتجدد الى العلاقة المتوترة بين الرجل والمرأة احيانا والمنتجة احيانا اخرى فقد ولدت شهرزاد لشهريار أبناء ثلاثة على امتداد حكاياتها التى بلغت الف ليلة وليلة ، بعدها صار شهريار انسانا كريما رحيما عطوفا عازفا عن الدماء .

ولكن اذا كان هذا هو الاطار الذى اختاره الكاتب لعمله فما مدى ملاءمته ؟! ان اهم ما يقدمه هذا الاطار هو حرية الحركة فى الزمان والمكان بمعنى ان الجو الاسطورى لحكايات شهرزاد قد مكن المستمع من الخروج من أسر الزمان والمكان ، فصار الزمان - كالمكان - بلا حدود إلا حدود المعرفة والاكتشاف والتساؤ ل الدائم وهذا ما فطنت اليه شهرزاد اذ كانت لا تنهى حكاية الليلة الا بتساؤل يثير فى النفس الفضول والشغف بما هو مجهول ، هذه الحيلة نفسها هى التى اتاحت

للخيال ان يتسع ويمتد ويكسر الحدود بين المعقول واللا معقول وان يمزج الجد بالهزل ، والالم بالأمل والخوف بالشفقة ، والهدوء بالترقب ، كما اتاحت للخيال ان يمزج بين العوالم : الانس والجن والحيوان والطير والنبات وأجوار الفضاء وأعماق البحار على اساس من التفاهم المشترك الموحد .

من هذا الجانب، اذن ، كان هذا الاطار ملائما أشد الملاءمة لعمل الكاتب ، لكنه من جانب آخر لم يكن متوافقاً معه ، وهذا الجانب هو الخاص بليالى اللهو الطرب وكيد النساء وأفانين الغرام فألف ليلة بوصفها عملا كبيرا تصور أجمل تصوير الحياة الشعبية فى مآهيها وفتنتها واسمارها وأضوائها الحمراء ، وهذا جانب مهم ولاشك لأنه يتعلق بالاثارة والمتعة والتسلية فلم يكن متيسرا لشهرزاد أن تسيطر على شهريار دون الخوض فى هذا الجانب الذى عد وسيلة للدخول الى نفسه وتقليم اظافر رغباته .

وبالطبع فالكاتب يتعامل بوعى شديد مع عمل له أبعاده التاريخية والاسطورية والانسانيه فى نفس القارئ ، يأخذ منه إطاره العام ، ويبقى على رمزية العلاقة بين شهريار، وشهرزاد ثم يتجه بعد ذلك ليصنع ألف ليلة وليلة خاصة به ، يتجه ليصنع أساطيره من واقع

حى فعال ، واقع لا ينفصل عن تاريخه الطويل ، البادئ من غرام الكاتب بالآباء الأولين ، مرورا بكل حلقات هذا التاريخ ، ليضفر منه نسيجا خاصا يبدأ من الطين - الارض [بيكى وزوجته حبيته وابنه الريح وابنته وداع]، ومن نقطة فى تيار الزمن المتدفق ، فـ "بيكى" اما ملك من ملوك مصر" أو غمر من اغمارها . ويرتبط المعبد بالأرض والزمن فى إشارة منذ البدء الى اتصال الأرض بالسماء .

- ٢ -

اذا كان السؤال المطروح فى الفقرة السابقة عن مدى ملاءمة إطار الف ليلة وليلة للعمل الأدبى الذى بين أيدينا ، فان السؤال المتعلق به هو مدى الارتباط بين الإطار وخصوصية العمل الذى يقدمه الكاتب ، والعلاقة بين الطرفين علاقة وطيدة ، مثل وجهى العملة ، يدلان على شيء واحد ، فالقلق الذى انتاب شهريار بعد ان يعلن على مملكته تحوله الى ملك بار رحيم قد كف عن القتل وسفك الدماء لم يكن قلقا من نوع عادي ، انه قلق معرفى ، ينتاب الروح ، ويتحدى العقل ، خاصة أمام سر تلاشى العلم "نعمة معرفة الاسماء كلها" ، ومعرفة الأسماء ليست معرفة ظاهرة بل هى معرفة الباطن او ما وراء الظاهر ، والبحث عن سبب الأسباب ، ومعرفة هذه طبيعتها تجعل الكون كله عالماً واحدا لا

عدة عوالم ، يختفى فيه حاجز اللغات فيعرف العلماء ما تقوله الطير فى الهواء ، وما تقوله كائنات البحر فى الماء ، والحيوانات فى البرارى والقضاء ،وما يردده النبات .. انها معرفة لا يملكها كل أهل الارض ، بل هى وقف على فئة منهم فى زمن معين ، عرفوا سرها ، فحفظوه وعاشوه ، إلى ان تبدل الزمان ،وتبدلت العلاقات ، فتبدد هذا الصنف من العلم بتبدد زمنه وتبدد أهله ، ومن ثم كان تساؤل شهريار تساؤلا مشروعاً : " ألم يبق فى الناس من يعرف أصول هذا العلم وسبله؟ " .

ان ضياع العلم ضياع الحياة على وجه الارض ، أى ضياع الأمن ، وسيطرة قانون القوة والغاب ، واختفاء علاقات التكافل والتعاطف والمودة والاخلاص ، وهى كلها ملامح اخلاقية لازمه يفرضها سر هذا العلم عند أهله معكوسا على كل الكائنات . هذا السر هو التقوى الذى " عاش به آدم مع سائر الكائنات على أساس مكين من التقوى فعرف فتعلّم فعلّم وهذا أساس العلم القديم الذى انتقل في بنى آدم دهرا ثم تلاشت معرفته كلما قلت التقوى وزاد حب النفس " والتقوى فعل انسانى عظيم يستلزم استحضار مراقبة المبدأ الاول المطلق فى كل تصرف ، لاخوفاً من العقاب ، بل حبا فى جمال العلاقة بين الخالق والمخلوق ، بين العابد والمعبود ،لأن التقوى إن غابت عن هذه

العلاقة حل محلها نقيضها وهو الفجور الذى يعنى استحضار كل كوامن الشر اعتمادا على الخديعة والغش والرياء وقانون الجسد ورغبات النفس الشريرة ، ورؤية الكون على أن ساكنه فرد واحد ، ومن ثم فان التقوى تورث الجمال فى العلاقة بين الأعلى والأدنى ، وبين الأدنى والأدنى فالتقوى وقاية من المهالك ، وجمال فى المظاهر والمخابر ، واتصال حقيقى بين أسرار الكائنات يمتد الى اتصال أقوى بين الكون بكائناته وخالقه .

وقد لبس شهريار بعد تجوله قناع التقوى فتجمل ، ويريد أن يقوى التجمل بالتعلم لا عن طريق المادة ، فعنده منها الكثير بل عن طريق الباطن بملكاته الخفية والمستورة ، والاكتواء بنار التساؤل بداية الرحلة وراء المعرفة ، واكتشاف سبل أهلها الذين لم يبق منهم إلا افراد تناثروا : "منهم أصحاب فطنة تجنبوا الدخول فى الشجار ، وبعضهم فضل الرعى ، لانه يبعد بهم عن المدن وزحام الناس ، ومنهم من ساح فى الأرض وتجنب الناس ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ومنهم علماء لم يسعوا الى شهرة او مال . وهؤلاء زادهم العلم ونور حياتهم البحث فى الحقائق ومعرفة الحكمة " .

ان شهريار الجديد باحث عن الحكمة وأهلها فى زمن متغير قلت

فيه الحكمة ، وتناثر أهلها ، وهو لا يبحث عن حكمة نظرية يتجمل بها ، بل يبحث عن مكابدة الحكمة ومعاناة سبلها ، ومعايشة أهلها ، بدليل طلبه من شهرزاد "سألتك بحقى عليك ان تفكرى فى السبل التى تساعد على جمع هؤلاء أو بعضهم لنحفظ ذلك العلم من التلاشى والانقراض ، فهو مصدر حكمة جليلة ، ومعرفة جديرة بان يتعلمها الصغار والكبار، وتعليمها يجب ان يكون للكبار قبل الصغار» وما أن تجيبه شهرزاد الى طلبه يشعر أن غمار التجربة لم يزده إلا حيرة ، ولم يزده فرط الحب الا قلقا ، وتلحظ شهرزاد ذلك على شهريار الجديد فتقول مخاطبة اياه " انى فى حال المبتدأ قد أشرت على مولاى حين طلب الطريق الى معرفة لغات الطير والحيوان وسائر خلق الله بان ندع المستور والمخفى ، والا نسعى الى ما يتعب القلب" وما أشد وجع القلب وهل يملك من ذاق ان يطفئ الشوق وان يتراجع عن وجع القلب ؟!.

اختار شهريار اذن طريق الحكمة وأهل الحكمة فى زمن مغاير تماما ومراوغ ، وفى مكان خلا من أهها ولإطفاء الشوق ، عليه ان يرحل فيبدل زمنا بزمن ، ومكانا بمكان ، والرحلة نوعان بالجسد وبالنفس ، رحلة فى المكان ورحلة فى الزمان . فى رحلة المكان يرى المرتحل مشاهد ومناظر كمن يشاهد مشاهد الخيالة ومناظرها تمر امام ناظريه لا يترك إلا

قليلها أثرا فى النفس ، وقد يكون أثرا عابرا وإن بقى فترة فى النفس . ورحلة الزمان قد لا يغادر الانسان فيها المكان مغادرة حقيقية ، لكنه عن طريق مختلفة يتجاوز حدود الامكنة والأزمنة ، ويمتلك القدرة على أن يوقف ما يشاء من المناظر ، ويعايشه ، ويعانيه ، وان يعيد تشكيل الحدث من جديد ، وان يخلق شخصياته فينطقون ،يعلمون ويحاورون ويملك ان يصيروا رموزا تتوحد مع سائر الكائنات ، فتصير الخمر رمزا للمعرفة واكتشاف كل جديد ، وليلى رمزا لحقيقة الحب . هذا النوع من الرحلة هو رحلة العارف الذى لا يهدأ ولا يكف - ومغزى رحلته أن تتوحد ذاته بعشقه فيصير هو الحكمة ، وهو زمنها وهو مكانها .

من هذا الطريق صار الاطار " الف ليلة وليلة "جزءا أصيلا من خصوصية العمل الذى نتناوله ، لا جزءا دخيلا ، ولا وعاء منفصلا عما يحمله كل وظيفته تجميل ما به . إن "بيكى" لم يكن مجرد ملك من ملوك مصر ولا غمراً من أغمار الناس ، ولم يكن انسانا يعيش ظاهر الاشياء والكائنات ولم تكن علاقته بالمكان علاقة من ينتظر ولا علاقته بالناس علاقة من يبحث عن غرضه الآنى عندهم ، ولم تكن زوجته مجرد امرأة عرفت دورها فى الحمل والانجاب والارضاع امرأة طيعة مطيعة ذلولا . لقد كان بيكى وامرأته حبيبة - شهريار الجديد وشهرزاد - يعيشان فى نظام العالم " وكنا فى نظام العالم نعيش فى الرحمة

وأعمالنا كلها مقدسة " والرحمة من تجليات التقوى سر المعرفة الكونية عند شهريار . وزوجته ذات علاقة خاصة بمظاهر الطبيعة وتجليات الباطن وتقلبات الفصول " تسمع أصوات الأرواح" فى عالم الغيب ، وهى فى عالم الشهادة " وتفسر الأحلام " فى عالم الباطن فصلتها بهذا العالم تتوازى مع صلتها بعالم الغيب ولأنها هكذا تعانى ، فانه " يأيتها المرض المقدس" فى مطالع الفصول ، تمر بتحولات مع الفصول الأربعة ثم تستقر وتهدأ . باركتها علاقتها بعالم الغيب وعالم الشهادة فصار لها اسم سرى هو " بركة " اى منحة ممنوحة أو فضل فوق الطبيعة البشرية لا تعرف مصدره ولا تملكه لكنها تعرف كيف توظفه خدمة لعالم الشهادة بما فيه من بشر ، وكائنات وطير وحيوان ونبات .

ولأن بيكى وزوجته هكذا ، فان ذريتهما لاتكون الا من معين تجربتهما ، فابنه " الريح" وابنته "وداع" . وهما مع ذلك ليسا زاهدين فى الحياة ولا عزوفين عن العمل ، يلتمسان ما يقيم حياتهما عند الناس ، بل على العكس يحبان الأرض والماء والطير والنبات حبهما لباقى الكائنات ويستمدان طاقة هائلة من سر المعرفة - التقوى - فى المعبد ، العبادة عندهما ليست طقوسا بل زاد روحى يفجر طاقات

المعرفة في النفس ، والحب للناس والجمال فى الكون ..المعبد كحقلهما او بيتهما ، اليوم عندهما عمل أو عبادة لأن العبادة هى العمل والعمل عبادة الم يكن عالم الشهادة عندهما جزءا أصيلا من عالم الغيب وتجليا من تجلياته فكيف يصير المعبد عبادة بلا عمل أو عملا بلا تقوى أو عبادة فارغه .

ان العلم قرين العمل ، والحكمة ثمرتهما ، والشهادة قرينة الغياب ، والكون يحكمه هذا النظام المرتبط بالأسباب ، وبما وراء الأسباب لذلك هبط على بيكى وزوجته طائف من بلاد الأرواح ، قزم صغير، بشر بقدومه الشيخ الكبير ، وأوصى بالحفاظ عليه لأنه اتخذ من كرمة بيكى مقاما له وسكنا كان يبحث فى الليل أصواتا جميلة ، ويبشر بعالم أرحب من عوالم الروح ويعد بخيرات وفيرة ، وعن وظيفته قال الشيخ الكبير لبيكى «على جناحه سترحل فى آفاق العلم والتعرف ، فاذا تيينت للعرفان سبلاً فبشر بها المحتاج والعانى "

إلى هنا يبدو لنا أن توازيا بين دور شهريار وشهر زاد ودور يبكى وزوجته والقزم كلاهما باحث عن المعرفة وسبلها يبشر بها المحتاج والعانى ، إلا أن هذا التوازى لايخلق انفصالاً بين الدورين أو الجانبين فى عالم "عبد المنعم عبد القادر" فإذا نظرنا إليه من زاوية أن القضية

المطروحة على القارىء هى إعادة بناء ألف ليلة وليلة بناء جديداً يخلصها من خطاب الغرائز والنزعات وأدوار الشطار واللصوص والجان والعفاريت، فان شهر زاد ما زالت تقوم بدور القاص أو الراوى المشارك حقيقة فى صنع وجدان المستمع شهريار، والقارىء بصفة عامة، فهى موجهة الحكى، وصانعة مغزاه وباعثة الحيوية والإثارة فيه ، باعثة الهدوء والتراخى والإيقاع البطىء تمهيداً لإنهاء الحكى المتفق مع تباشير الصباح وسكوتها عن الكلام المباح لتبدأ هى مع شهريار كلاماً غير مباح لايهم القارىء معرفته.

وإذا نظرنا إلى العمل من زاوية أن القضية المطروحة هى استلهام ألف ليلة وليلة فى إقامة بناء مواز لها، فإن شهر زاد مازالت تقوم أيضاً بدور أساسى فيه ، وهو اضفاء طابع الجو الاسطورى الغريب على العمل ، مما يجذب القارىء من صياصى فكره مرغماً ليتتبع ماذا تصنع حبيبه وبيكى والقزم أدوات الحكاية التى تنهض بحكيها شهر زاد للملك شهريار.

وأيا كانت النظرة التى نختارها فالواضح أن شهريار وشهر زاد يلعبان دوراً أصيلاً فى بناء عمل "عبد المنعم عبد القادر"، وهو عمل تبدأ أدواره الدرامية منذ أن يصطدم بيكى بوزير الملك، وهو وزير

الضرائب والاتاوات المتعجرف الفظ الذى تنتهى حياته بحيلة من بيكى غرقاً فى المصرف، ويذهب بيكى ليقدم هديته إلى الملك والأميرة. وهناك يفلت من أسرعيون الأميرة، ويعود إلى زوجته حبيبة التى تستشعر الخطر عليه أن ظل فى هذه المملكة، أنه قد فعل الخير إذ خلص الناس من هذا الوزير " نطاط بن نطة" لكنه لايأمن جانب الوزراء الآخرين. ثم تكتشف زوجته مدى تأثير عيون الأميرة فى زوجها: "أنت تفوح منذ عدت بروائح امرأة غريبة، رأيتها تطل على الروح الماشية فى عينيك. رأيت ظلها ساقطاً على ملامحك". هنا تبدأ الرحلة بسبب هذين الأمرين، الوزير نطاط بن نطة. تأثير عيون الأميرة فى بيكى " جاء الوقت يابيكى ارحل وخذه معك، واحفظه كنور عينيك" يرحل بيكى ومعه القزم الذى يحفظه كنور عينيه.

وتطول رحلة بيكى وتتعدد حلقاتها فى البحر والبر لايفارقه القزم، ويلتقى بيكى بأناس آخرين يحبهم ويحبونه ويقفون معه فى شدائده، ويبنون سفينته التى يبحر بها إلى " بلاد الأرواح" لكنها تتحطم من شدة الأمواج، التى تلقى به ورفاقه على شاطىء جزيرة من الجزر، ويفيق الجميع من سباتهم ليجدوا أنفسهم أمام ثعبان ضخم يتقدم إليهم مستفسراً عن مقاصددهم وبواعثهم، وينشأ حوار بينه وبين الجمع

الذى تحلق حول الثعبان الذكى الحوار ولايملك أحد القدرة على مجاراة هذا الثعبان الذكى الحوار ، بيكى. ألم يكن يعرف الأسماء كلها ويعرف خطاب كل الكائنات. إنه واحد من القلة الباقية من أهل العلم الذين انتشروا فى البلاد.

ويبدو أن اللقاء بالثعبان لم يكن لقاء عادياً، إذ جاء فى طريق العودة إلى دار السلام- مصر- وقد تحطمت السفينة، وتواترت الأخبار عن سوء الأحوال بدار السلام، وتدهور حال حبيبة التى ابيضت عيناها من الحزن على بيكى. ولأن الأمر هكذا ، فقد تهيأ للثعبان أن يقوم بدور يشبه دور القزم ، وهو دور معرفى تهيأ له بيكى على يدى الثعبان يحكى بيكى أبعاد هذا الدور فيقول" خرجت من بين فكى الثعبان وقد سوتنى تجربة الدخول وتجربة الخروج خلقاً آخر.. فقد استرسلت لحيتى. وأبيض شعرى. لوحت شمس الجوى بشرتى، فصارت فى لون النحاس الأحمر، وفعلت فى النفس أموراً لاتعد ولاتحصى".

الهدف من عودة بيكى إلى مصر هو تحقق تلك النبوءة التى سمعها من الهدهد بأنه سيحكمها " سمعت هدهداً يقول لوليفته انظرى هذا هو بيكى الفلاح الذى سيكون سيداً لهذا القصر" أى القصر الملكى. قيلت هذه النبوءه ساعة أن كان بيكى فى طريقة لتقديم هديته إلى الملك

والأميرة. وهى نبوءة أصبح لها مايدعو إليها وهو ترقب الجماهير عودة من يخلص الوطن من الظلم بعد موت الملك العادل. وهذا المخلص لن يكون إلا بيكى الذى عانى تجربة الدخول، وتجربة الخروج من بين فكى الثعبان. وهما تجربتان جعلتاه كائنا جديداً . لما رأونى وابصرت عيونهم مقدمى هللوا وكبروا. وحمدوا وشكروا ".

إن من يّملك قصر الحكم يصبح رئيساً لبيت الحياة. وهو بيت العلم . بيت أسرار اتصال عالم الغيب بعالم الشهادة، ولأن الزمن بأهله فان الملك" زيط" الذى كان وزيراً لم يمتلك إلا فى الظاهر. امتلك القصر وارتبط بالاميرة ، وصار رئيس بيت الحياة دون أن يعرف أسراره ولا ان يتصل بشيوخة ، ولا يبحث عنهم أو يقيم لهم وزنا . صار الأمر عنده طقسا من الطقوس ، مرسوما من المراسيم يؤديه اكتمالا لابهة الحكم ووجاهته . لذلك كان حكمه ناقصا ، وظلمه قائما ، وبطشه حاضرا وجهله أعرض من علمه .

حين عاد بيكى ناظر الملك . بيكى حامل العلم ، مرتبط بأسرار بيت الحياة ، قد لوحته التجربة وأنضجته ، ببصره الثاقب يرى الضعف وراء شكل القوة ، والجهل وراء ادعاء العلم . ويصور الكاتب أبعاد هذه المناظرة تصويرا رمزيا جميلا الملك الغاضب ، بيكى الواثق ، ارسل

بيكى جوهرة المد فاخرج الملك جوهرة الجذر فكان الطين ، اخرج بيكى من الطين شجرة وارفه أسقط عليها الملك صاعقة حولتها رمادا ، أرسل بيكى اليه خرافاً اطلق الملك عليها الذئاب اشرع بيكى سيفا تلقاه الملك بسيف الى ان اشرقت الشمس «وسقطت العين فى العيـن .. هنا عرفـت مقتلـه" .

اخرج له بيكى المرأة التى دخلت اليـه فى الجزيرة ، صرخ الملك وتراجع وسقط على الارض بعد ان سقطت عيناه فى عينيها وسكن جسده الحى وهنا تظهـر الملكة ، وتقـتـرب من بيكى الملك وتتـوجـه ملكا على عرش مصر بعد عودته المظفرة .

- ٣ -

يقدم هذا العـمل ابعاداً دراميـة استعـان عبـد المنعم بكل حلقـات التراث لتصويرها ، فان كان بيكى يعود الى التاريخ المصرى القديم فان زوجته وابنه عمه "حبيبة" تعود بسماها وفكرها الى التاريخ الاسلامى ، ويعود ابناه الى الارض التى حفظت حلقات هذا التـاريخ كما يعود ابطال هذا الصراع الى الموروث الشعبى الاصـيل باسمائهـم وادوارهم زعيط بن زعطه " معيط بن معطة ""نطاط الحيط بن نطة "ويظل الشيخ الكبير شخصية عـامة دالة على البعد الروحى الموجود فى حلقات هذا التاريخ

الطويل المتنوع المتميز . والقزم والنعبان يعودان الى عالم الارواح فى اتصاله بعالم البشر الأحياء ، أو عالم الغيب فى اتصاله بعالم الشهادة وتظل الارض - دار السلام مصر - هى المسرح الكبير الذى يتصارع عليه كل هؤلاء ، ويتفقون ، ويختلفون ، هى البدء والمنتهى .

ولكن هذه الشخصيات فى تنافرها وتوافقها ما هى إلا عناصر دلالية تكشف عن زمنها الخاص ، وزمنها العام فعلى الرغم من أن الكاتب لم يقف بالقارئ عند فترة تاريخية محددة ، فان احساسه بالتاريخ كان وراء استدعاء هذه الشخصيات من فترات متباعدة زمنيا ومتباينه فكريا وعقائديا ، وهذا ما أقصده بالزمن الخاص فان كان بيكى قد احتفظ بسر علاقته مع الكائنات التى استطاع أن يخاطبها ويفهم لغاتها ، فان هذا السر يعود بنا الى الأسرار التى تنطوى عليها فترته الزمنية التى يمثلها وهى الحضارة المصرية القديمة ، كان سرها فى المعبد ، الكهنة يمتلكون العلم ويحملون مفاتيحه وكان عندهم أشبه بالسحر وهم بعلمهم وسحرهم خدم للملك إن أرادوا ، وعين عليه إن شاءوا ولأن هذه الصياغة لمعرفة بيكى لم تعد تتواءم مع ما هو مطروح الآن من معتقدات كان طبيعيا ان يرد الكاتب سر معرفة بيكى الى من علمه " الاسماء كلها " والى سر علاقته به وهو التقوى . وهذه عملية

تربط بين الفكر القديم والفكر الاسلامى مع ان الكاتب لم يصرح ولو مرة واحدة بالقوى العليا التى علمت آدم الاسماء كلها من تكون ، وفى اى منظومة عقائدية توجد ؟

اتاح هذا السلوك للكاتب ان يتحرك. بحرية فى منطقة العقائد والاديان فهو يؤمن بسلطان الدين والاخلاق ،ولكن لا يسميه وهو يستعين بمفردات لغته ولبنات أخلاقه ، ولكن دون ان يحدده ، وبالتالى يحق لكل قارئ أن يعتقد ان بيكى ببنائه الدينى والمعرفى والاخلاقى يصور فكره ودينه واخلاقه ولا يقلل من ذلك هذا الزواج الشرعى بين حبيبة وبيكى فكلمة "حبيبة " تعنى المحبوبة ، وهذه الكلمة صفة لا اسم ومن ثم فان الكاتب لم يسم الشخصية باسم يدل على ثقافة محددة ، ولا دين محدد ، وإنما وصفها ، ومن الطبيعى فى ضوء هذا ، أن تكون المرأة فى كل ثقافات البشر وأديانهم هى المحبوبة قديما وحديثا ، أزليا وأبديا ، وفى ضوء هذا التفسير ، يكون التزاوج بين بيكى وحبيبة تزاوجا انسانيا لا تزاوجا تاريخيا . ولكن هذا لا يمنع من تلاقى الحضارات فى ظل المعنى الانسانى العام يؤيد ذلك ان هذين الزوجين حينما انجبا لم ينجبا محمدا او مريم بل انجبا "ريحاً ووداعاً " .

فى اطار هذا الفهم ، يأتى الخير والشر فكرتين قديمتين فى

تاريخ البشر ، سواء المكتوب او المنقول شفاهة ، كما تأتى كل الثنائيات الأخرى ، القوة والضعف ، العلم والجهل ، الفقر والغنى ، الوضوح والغموض .. وهى ثنائيات وردت فى هذا العمل بالتضاد كما وردت بالتجاور ليتحقق فيه بعده الدرامى فالملك إن كان يعنى القوة والثروة فإنه يتضمن الضعف والفقر والغموض والجهل وان كان يحقق العدل فى جانب فانه يحقق الظلم فى جانب آخر ، يجسد ذلك الملك شيط ووزراؤه الثلاثة وهم بما يرمزون اليه من افكار يتصلون دلاليا لا زمنيا مع بيكى ومنظومته .

ولكن السؤال المطروح هو : أين نضع القزم والثعبان هل لهما زمن خاص ينتميان إليه أم انهما رمزان دالان خارج اطار الزمن ؟ ينتمى اليه بيكى ، فهو قزم هبط من بلاد الارواح وله أرواح سبعة ولديه القدرة على ان يطلق بيكى من " مكانه وزمانه " اذ دعاه الى الطيران فطار ، وفى وقت الخطر حمله بيكى فى صدره ، وفى ساعة رحلته أوصته زوجته حبيبة بأن يصونه وأن يوصله إلى بلاده بأمان .. إن بيكى فى ضوء هذا الوصف فاعل ومفعول به ، بمعنى أنه صاحب قوة خارقة قد أتى لمهمة محددة بناء على السر الذى يربط بيكى وزوجته بعالم الارواح .. هذه المهمة هى أن يحمل بيكى على جناحه ليرحل "فى

آفاق العلم والتعرف " وهو مع ذلك لا يملك أن يصون نفسه او على الاقل يحتاج الى من يتولى أمره حتى يصل الى حيث أتى .

هذا القزم ذو السر الغامض يصفه بيكى بقوله «رأيت القزم يتخذ سبيله فى الليل عجبا " ألا تذكرنا برفيق موسى الذى قال له " إنك لن تستطيع معى صبرا " وهذا الرفيق كانت العلامة على مكانه الحوت الذى اتخذ سبيله فى البحر سربا ولكن رفيق موسى فى رحلته كان اكثر علما من موسى عليه السلام وكذلك رفيق بيكى كان أكثر خبرا من بيكى الذى يعرف اسرار بيت الحياة . وفى هذه النقطة يخرج القزم من أسر بيكى وزمنه ليقف رمزا دالا على ان المعرفة ضالة الانسان لا تعرف قويا ولا غنيا ولا جميلا ولا قبيحا . تعرف من يتبين سبلها ويبشر بها ولكن هذا الرمز يقع فى قلب التراث الاسلامى كما يقع الاتفاق العجيب بين كل ماهو عام وانسانى فى جميع حلقات التاريخ والثقافات .. اما الثعبان فقد يكون قريبا فى دلالته من القزم ، فقد آوى بيكى ورجاله ونصحهم ودلهم على سبلهم وحسن مقاصدهم . وفى معية الثعبان صار بيكى شخصا آخر قبل الاقدام على مهمته الجليلة وهى منازلة الملك فى قصره وتولى مهام الحكم فى البلاد ، إذ عانى تجربة الدخول فى فكى الثعبان وتجربة الخروج وهما تجربتان ، كما سبق ، أنضجتاه . ولكن هل

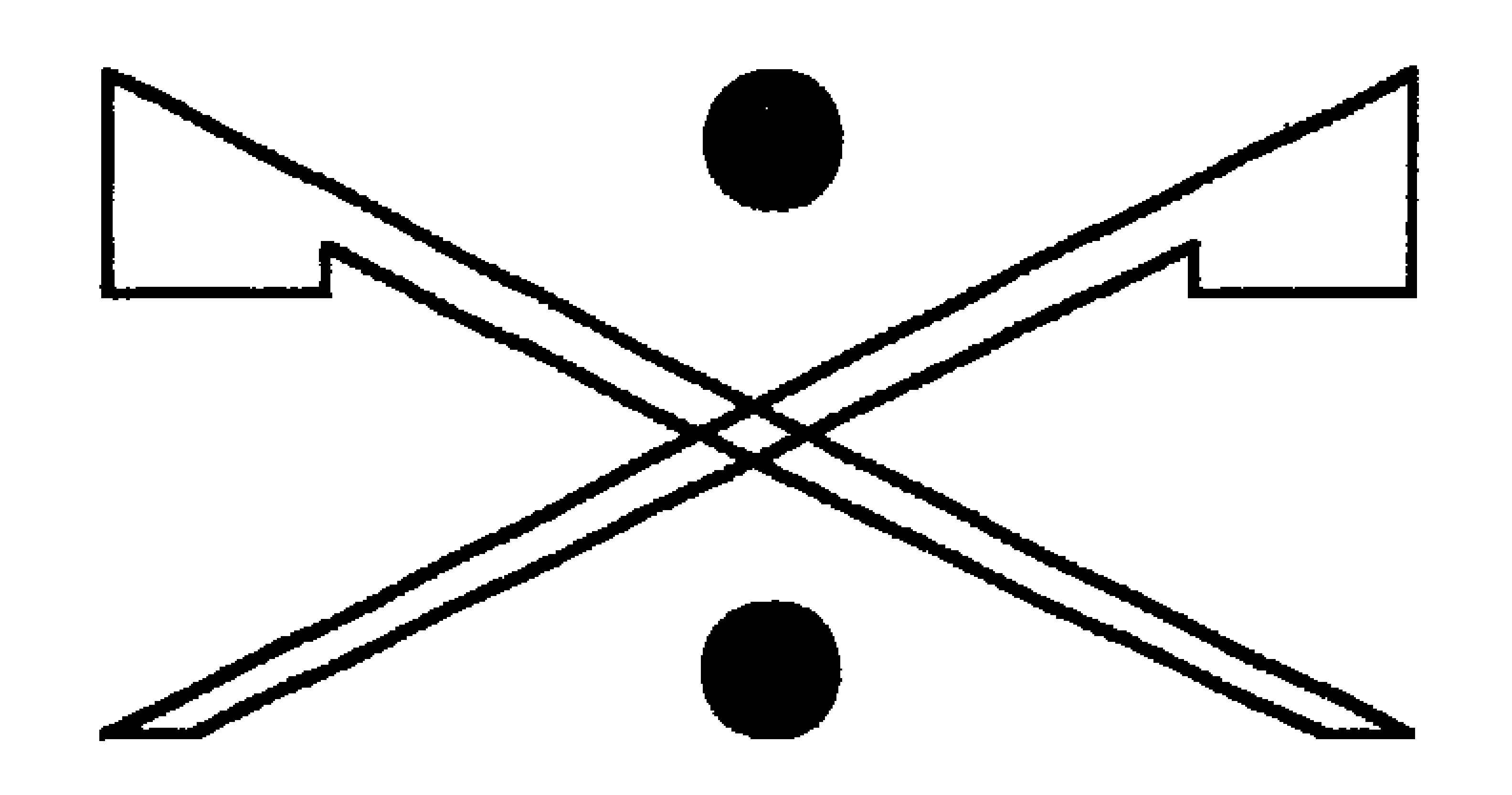
من الممكن أن نعد الثعبان المطهر الذى خلص بيكى مما كان به من شوائب حتى يصير رمزا خالصا ؟ قد يجوز هذا ، وإن صح ، فان القزم والثعبان قريبان فى الدلالة والدور .

يبقى لنا ان نتساءل ، ماذا بعد عودة بيكى ؟ إن امامه مهاماً جساماً ، هى مهام البناء ، وتحقيق التعادل بين السلطة والمعرفة ، بين القوة والعقل ، بين أهل السلطان وأهل العرفان .. وجسامة هذه المهام تبدو لأن الزمن قد تغير ، والناس قد طال عليهم الأمد ، فقست قلوبهم وصار همهم الهدف الفردى ، وبروز الأنا وبيكى يعى لعبة الزمن ، وتقلب الناس " نحن عائدون الى زمن كثر فيه الطعام وقل الشبع ، وكثر الحراس وقل الامن ، وكثرت دور العلم وقلت الحكمة " زمان ما اكثر الكلام فيه وما أقل المعنى" إنه زمن المفارقات ، علته فى الانسان الذى يصنع نظاما لحياته يفصل بين الذوق والبطن والعلم والحكمة والانسان نفسه .

ويعتقد بيكى أن البداية تكون فى المواءمة بين ماض مازال حياً فعالاً ورؤى وليدة الماضى والحاضر ، عليه ان يبنى بيت الحياة الذى يجسد هذه المواءمة ، ويسمى الأشياء باسمائها لذلك يقول : "شرعت مع الخلان فى بناء بيت الحياة طبقا للتقاليد القديمة والرؤى الحديثة فالزمان

ممتد ، والأدوات مختلفة ، واللغة فسدت ، إن المهمة عسيرة ، وستظل كذلك ، لولا همة ابن الانسان الذى يصلح ما فسد .

وبعد الا يكون الكاتب بذلك قد نجح فى خلق المواءمة بين الامتاع والمؤانسة فى بيت الحياة . وطوبى لأبى حيان التوحيدى الذى صنع ليالى جمع فيها بين الفكر والفن والعلم والتسلية والمتعة ، وجعلها فى كتابه «الامتاع والمؤانسة " .



وحين فـرغت شـهـر زاد مـن حكاياتهـا فى الليلة الأولى بعـد الألف ، كانت قد أنجبت من الملك شهـريار ثلاثة ، ذكور ، فقامت على قدميهـا وقبلت الأرض بين يدى الملك وقـالت له : يا ملك الزمان وفريد العـصـر والأوان .. إنى جاريتك ، ولى ألف ليلة وليلة وأنا أحـدثك بحـديث السـابقين ، ومـواعـظ المتـقـدمين ، فـهل لى فى جنابك من طمع حتى أتمنى عليك أمنيه ؟

فقال لها الملك : تمنى ياشهر زاد

فـصاحت عـلى الدادات والطواشيـة ، وقـالت لهم : هاتوا أولادى .. فجاءوا لـها بهم مسرعين ، وهم ثلاثة أولاد ذكور واحد منهم يمشى ، وواحد " يحبى " ، وواحد يرضع ، فلما جاءوا بهم وضعتهم قدام الملك ،

وقبلت الأرض وقالت :

ـ يا ملك الزمـان .. إن هؤلاء أولادك ، وقـد تمنيت عليك أن تعتقنى من القتل إكراماً لهؤلاء الأطفال ؛ فإنك إن قتلتنى يصير هؤلاء الأطفال من غير أم .. ولا يجدون من يحسن تربيتهم من النساء .. !!
فعنـد ذلك بكى الملك وضم أولاده إلى صدره وقال :

ـ يا شهر زاد ... والله إنى قد عفوت عنك من قبل مجئ هؤلاء الأؤلاد لكونى رأيتك عفيفة نقية ، وحرة تقية ، بارك الله فيك وفى أبيك وأمك وأصلك وفرعك ، وأشهد الله أنى قد عفـوت عنـك من كل شئ يضرك ..

فقبلت يديه وقدميه وفرحت فرحا زائدا وقالت :

ـ أطال الله عمرك وزادك هيبة ووقاراً ..

وشاع السرور فى "سرايا " الملك حتى انتشر فى المدينة ، وكانت ليلة لا تعد من الأعمار ، ولونها أبيض من وجه النهار ، وأصبح الملك مسرورا وبالخير مغموراً فأرسل إلى جميع العسكر فحضروا وخلع على وزيره أبى شهر زاد خلعة سنيه جليلة وقال له :

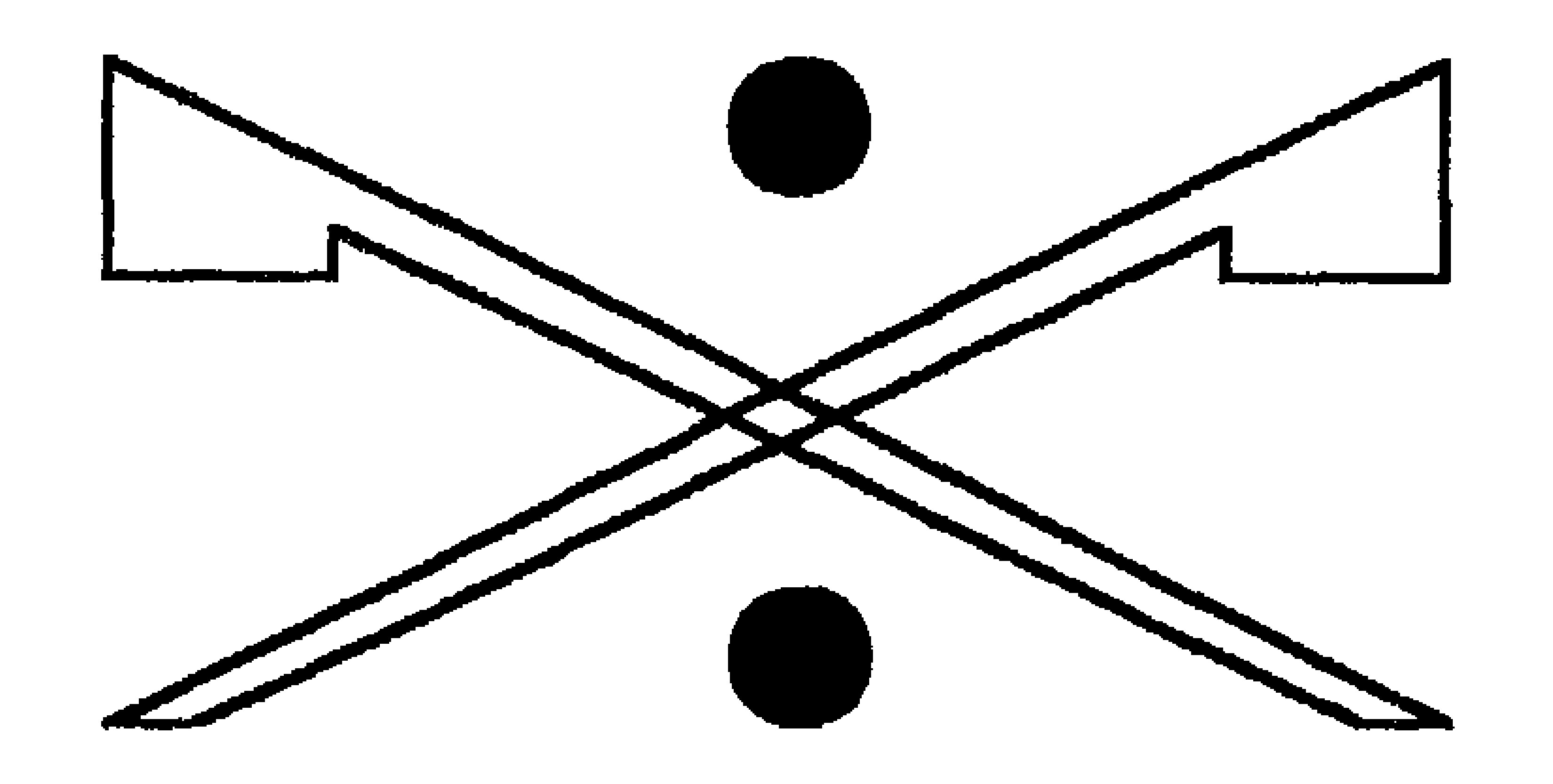
ـ سترك الله حيث زوجتنى ابنتـك الكريمة التى كانت سببا لتوبتى عن قتل بنات الناس ، وقد رأيتها حرة تقية ، عفيفة ذكية ، ورزقنى الله منها ثلاثة ذكور .. والحمد لله على هذه النعمة الجزيله .

ثم خلع على كافة الوزراء والأمراء وأرباب الدولة الخلع السنية ، وأمر بزينة المدينة ثلاثين يوماً ولم يكلف أحداً من أهل المدينة شيئاً من ماله بل جعل جميع الكلفة والمصاريف من خزانة الملك فزينوا المدينة زينة عظيمة لم يسبق مثلها ، ودقت الطبول ، وزمرت الزمور ، ولعب سائر أرباب الملاعب ، وأجزل لهم الملك العطايا والمواهب ، وتصدق على الفقراء والمساكين ، وعم بإكرامه سائر رعيته وأهل مملكته " (١) .

فعم السرور وإزداد الحبور وعرف القاصى والدانى أن الملك شهريار صار ملكا رفيقاً بالرعيه .. شفوقا على المساكين وأصحاب العيال .. ومضت أيام الفرح ..

---

١ ـ ألف ليلة وليله . المجلد الرابع ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ . طبعة دار الهدى الوطنيـة للطباعـة والنشـر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان ..



الليلة الثانية بعد الألف الأولى

فى الليلة الحادية والثلاثين

أمر الملك شهريار بإعداد مجلسه المعتاد . وأمر فأقبلت شهر زاد ، تخفى القلق وتبدى الوداد . فقال لها الملك :

ـ هل نام الأولاد .. ؟

قالت : نعم يا مولاى ..

قال : أنت الآن يا شهر زاد فى أمان .. وقد صرت مليكة البلاد .. ومامن شخص فى الحاشية والبلاط إلا ويعمل لك ألف حساب .. والرعية يحبونك .. وإن لى عندك طلباً ..

قالت : طلبات الملك أوامر ..

قال : أستغفر الله الواحد القهار .. فكل طلبى هو استمرار المسامره وعدم قطعها .

قالت : أطال الله عمر الملك .. !! متى يريد أستئناف المسامره

قال الملك : الآن ... !!

فقالت شهر زاد :

إنى رهن أشواق الملك .. فإلى أى الآفاق يبحر شراع أشواقه ؟ !

قال الملك : لقد حكيت لى حكايات عن الإنس والجن .. وطير البر والبحر . وحيوان البر والبحر .. فكيف أعرف لغاتها وأفك رموزها ؟ ! .

قالت : يا مولاى دع المستور والمخفى ولاتسع إلى ما يتعب القلب ؟ .

قال : وإذا استحلفتك وأقسمت عليك ..!!

قالت : هذا والله أمر عظيم .. ولاتجوز لى مخالفتك .. !!

ثم إنها بكت .. واستعبرت .. وبسملت وحوقلت .. وقالت

ـ " .. حمداً لله مسدى النعم .. ومفيض إحسانه على الملوك والخدم ، والصلاة والسلام على من هو للأنبياء إمام .. وعلى آله وصحبه الأخيار وبعد فقد بلغنى أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد أن الأنس والجن وسائر ما خلق الله من دابة على الأرض ومن طير يطير فى الفضاء ومن كائن من كائنات البحر ، قد جاء عليهم حين من الدهر كانوا يفهمون كلام بعضهم بعضاً .. ولا يدرى أحد من العارفين السر فى ذلك .. فقد قال بعضهم إن الله سبحانه قد أفاض من قديم إحسانه على مخلوقاته بأن يفهم بعضهم بعضاً لأنه ، تعالت قدرته ، قد أسكنهم مسكناً واحدا هو الأرض .. وأنه حين أنزل آدم من مكانه فى الجنة قد أبقى عليه ـ من فضله ـ نعمة معرفة الأسماء كلها .. وسخر له ولذريته الأرض وما عليها فتعارف آدم وتعرف .. وتفاهم آدم وتفهم .. وعاش مع سائر الكائنات على أساس مكين من التقوى فعرف .. فتعلمَّ فعلمَّ .. وهذا أساس العلم القديم الذى انتقل فى بنى آدم دهراً ثم تلاشت معرفته كلما قلت التقوى وزاد حب النفس " . سأل شهريار : ألم يبق فى الناس من يعرف أصول هذا العلم وسبله ؟

قالت شهر زاد : بل بقى منهم أفراد تناثروا : منهم أصحاب فطنة تجنبوا الدخول فى الشجار والصخب .. ومارسوا الأعمال البسيطة كالزراعة والنجارة والغزل والنسيج وبعضهم فضل الرعى لأنه يبعد بهم عن المدن وزحام الناس إلى فسيح البرارى .. ومنهم من ساح فى الأرض وتجنب الناس ما استطاع إلى ذلك سبيلا .. ومنهم علماء لم يسعوا إلى شهرة أو مال وهؤلاء زادهم العلم ونور حياتهم البحث فى الحقائق ومعرفة الحكمة ...

قال شهريار : سألتك بحقى عليك أن تفكرى فى السبل التى تساعدنا على جمع هؤلاء أو بعضهم لنحفظ ذلك العلم من التلاشى والانقراض فهو مصدر حكمة جليلة ، ومعرفة جديرة بأن يتعلمها الصغار والكبار .. وتعليمها يجب أن يكون للكبار قبل الصغار ..

قالت شهر زاد : أوافقك يا مولاى على ما تريد .. وإنى والله أريد ما تريد .. غير أنى أريد أن استوثق لك ولنفسى مما نريد .. فهل تعرف طرفاً مما وقع للمحبوب بيكى ..

قال : ومن المحبوب بيكى ؟!

❁

" حكاية المحبوب بيكى " [1]

قالت شهر زاد : يحكى والله أعلم بغيبه وأحكم . أنه قد عاش فى أرض مصر رجل يقال له المحبوب بيكى .. يذكر البعض أنه كان ملكاً من ملوك مصر فى الزمان القديم .. ويحكى آخرون أنه كان واحداً من أغمار الناس .

ومهما كان من أمره فقد ولد وعاش . وعمل أعماله .. وبعد ذلك عثر بعض الناس على حكايته مودعه فى كيزان أسطوانية من فخار محروق .. منظومة فى سلسلة من نحاس ..

وهنا ظهر نور الفجر ولاح فسكتت شهر زاد عن الكلام المباح ..

قال شهريار : بل أكملى يا شهر زاد .. فصاحبنا المحبوب بيكى يبدو عليه أنه ممن ذكرتهم من السواح ...

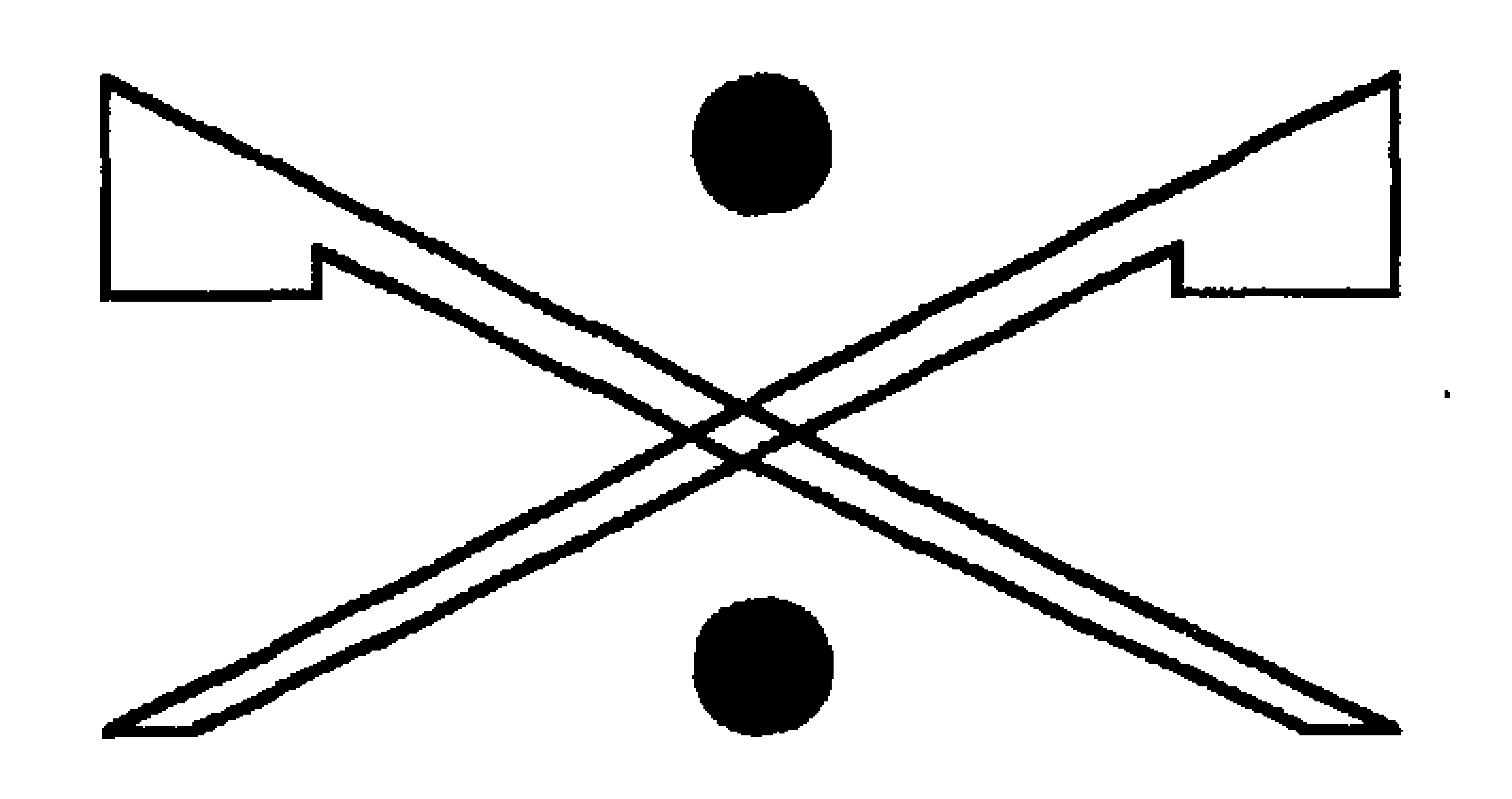
قالت شهر زاد : يامولاى .. فليكن مجلسنا على نحو ما كان قبل إنعامك علىّ .. ولنلتمس من الله الهدايه ..

---

١ - هذه الحكاية مهداة إلى السيدة / صنع الله جاد ، وهى حكاية مستلهمة من قصة البحار الغريق ، من الأدب المصرى القديم .

قال : هو كما تحبين ..

قالت : فإلى الغد إن شاء الله ... !!



الليلة الثالثة بعد الألف الأولى :

وقالت شهر زاد

بلغنى أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد أن اللوح الأول قد جاء فيه :

" أنا بيكى وهذه ألواحى ..

ولدت فى دار السلام ، لم يقترن ميلادى بعلامات أو إشارات ؛ فمع كل مولود كانت الشمس تشرق بنور ربها إذا كان ميلاده بالنهار ..

وكان القمر يرسل نوره إذا كان ميلاده فى الليل .. وإن غابا فالنجوم مصابيح للناس وفيها الكفاية ، وكان أهل قريتنا يتبادلون التهانى لدى مولد كل مولود . وكانوا يعيشون في المسره ..

كبرت فوجدت أني أسمع الناس والحيوان والشجر والطير فى البر وفى الماء وكنت أفهم ألسنتها ..

أحببت فلاحة الأرض .. فأحبتنى الأرض ، ولم تخلف المواعيد .. وصار حقلى جميلاً ... وإنى سيجته بعقد من الفاكهة ، من الليمون ، واليوسفي ، والبرتقال ، والرمان ، والجوافة ، والتين ، والكمثرى .. وكانت عريشة الساقية تحت جميزة مباركة ، تؤاخيها نخلتان مثمرتان ، وأربع عنبات ، انتشرت أغصانها على أعمدة ، اصطنعتها من خشب السنط ، وتؤكأت على أذرعة أربعة من الجميز ، فصار لى ، منها بيت واسع مربع ، نسجته العنبات عبر السنين ..

كنت أجعل مما تنبت الأرض نصيبا للمحتاج ، والمشتاق ، وعابر السبيل .. ونصيبا للمعبد .. وكنت أشكر وأنا فرحان .. فالأرض تعطى ، ونحن نعيش ، والكل يأكل .. النيل وفى .. والهواء الجميل لأنوفنا .. وكنا فى نظام العالم ، نعيش فى الرحمه ، وأعمالنا كلها مقدسه ...

ابنة عمى أسمها " حبيبة " .. فرح كل منا بالآخر فى الطفولة .. وكانت تسمع أصوات الأرواح وتترجم عنها للناس .. وتفر الأحلام ويأتيها المرض المقدس فى مطالع الفصول ، ولا تشفى حتى تستمر التحولات والمعبد أعطاها اسمها السرى ، وكان هذا الاسم " بركه " .. أحبها الكهنة الصغار واحتفى بها الشيوخ الكبار ، وكانت عفية .. حلوه .. فازعة .. فارعة خشنة الكفين والقدمين ..

عملنا معاً فى الحقل حتى بلغنا سن الزواج فتزوجنا .. فاحتفل بزواجنا الأهل والأصحاب .. والمعبد .. وحبلت ووضعت ولداً أسميته " الريح " .. ثم حبلت ووضعت طفله أسماها الشيخ الكبير فى المعبد : " وداع " ..

فى صباح مولد " وداع " رأيت الشيخ جالسا على رأس حقلى من جهة البلد . ذهبت إليه .. قال وهو يبتسم :

ـ ياولد .. أنت صالح .. وحقلك حسن .. وزرعك جيد .. وبذرتك فيها السر .. !! .. ياولد .. بالأمس مع مولد " وداع " جاءنا فى المعبد قزم من بلاد الأرواح وجدت أنه دائم البكاء .. فهل يجد عندك مكانا طيباً .

أنا بيكى .. فكرت فى نفسى : إنه لأمر مخيف .. فليس من المعتاد أن يعيش قزم بلاد الأرواح فى مكان خارج المعبد .. وهؤلاء الأقزام يأتون بهم من بلادهم النائية ليتذاكر الكهنة لغة الأرواح القديمة حتى لا ينسوا أصواتها ..

قال الشيخ الكبير : لا تخف .. وقوّ قلبك .. !!

ثم إنه رفع طرف ردائه فرأيت قزماً صغيراً أبنوسى اللون .. ما أن واجه نور النهار حتى فتح فمه ، وغربت عيناه وانطلق من قلبه صوت أطلقنى من مكانى وزمانى ، ودعانى إلي الطيران فطرت .. طاف بى فوق الحقول ، والبيوت ،والمعابد ، والترع ، والمساقى .. إنى رأيت الناس يعملون ، والمواد تتغير فى أيديهم ،لتولد من أصابعهم أشياء أخرى ذات أشكال وهيئات .. رأيت الطيور ، تبيض وتفقس ، وتغذى صغارها ، وتدربهم على الطيران .. رأيت حيوانات الحقل ، تحبل، وتلد، وتنمو ، وتعطى الانسان قوةً ولبنا .. رأيت الأشجار السعيدة ، تبدى صنوفاً من المنح وقرابين .. رأيت مخلوقات البحر فى التكاثر العظيم .. ورأيت الكل ، يدور فى أطواره ساعيا إلى الموت .. والكل فى كف العناية ، تجرى عليه المقادير بلا نهاية .. !! فهتفت : حىّ .. حَىّ .. !!

فقال الشيخ الكبير :

ـ على جناحه سترحل فى آفاق العلم والتعرف .. فإذا تبينت للعرفان سبلا ، فبشر بها المحتاج والعانى ..!! ياولد .. السلام عليك .. !!

ونهض مبارحاً ، بينما حملت القزم، وعدت إلى بيت العنبات تحت الجميزة ..

أعددت للقزم مكانا فى زاوية من البيت ، وجدت الأغصان تطاوع أصابعى ، فصار مكانه مثل سلة معلقة ، مجدولة من أغصان العنب الخضراء .. عرضت عليه طعاماً فالتقط بعض ثمار الجوافه والكمثرى وأكل .. ثم إنه أغمض عينيه ، ونام ..

حبيبة ملأت عينيها من قزم بلاد الأرواح .. فضمت إلى صدرها " الريح " و " وداع " .. وقالت :

ـ لماذا أتوا به من بلاده إلى حيث يبكى ؟ !!

أوجعت قلبى كلماتها .. فجعلت عينى عليه ، أرعاه .. كان يأكل القليل من حبات الفواكه ، ويشرب من المياه الجارية ، وملبسه قميص صغير أبيض ، لا يزيد طوله عن ذراع ، نسجته حبيبة من كتان

الحقل .. وينام فى سلته ..

أحب." حبيبة " و " الريح " " ووداع " .. وألفنى .. وكان كلما رأى " حبيبة " ينحنى راكعاً ملامساً التراب بأطراف أصابعه الدقيقة ، وكان يتلقى هذا الغذاء من الحنان فى الصباح ، وفى المساء .. يوماً بعد يوم .. ومرت الأيام .. واقتربت مواسم الحصاد .. !! .

وذات ليلة كنت نائماً ، فنهضت على صوت موسيقى شجيه ، فيها ناى ومزمار ، وصلصلات ذوات أصداء .. وكان واقفاً لدى الباب .. وخطا خطوات نشوانه خارجاً .. قمت من فراشى وتبعته .. وقف موليا وجهه نحو المشرق فى فضاء الحقول .. ثم ، ومع أول سهم أطلقه النور ، انبعثت من قلبه الموسيقى معلنة تهاليل ، وترحيبات ، وفرح .. !!

ومنذ ذلك الفجر ظل يقوم من فراشه ، ويرسل موسيقاه ، مع مجئ النور .. وفى صعود الشمس فى ساعات النهار ، كان يلعب فى الحقل ، بالقرب من حبيبه .. وأينما يكون ، كان يقف فى ساعات محدده ، نهارا بعد نهار ثم يرسل ترنيمة ..!!

" الريح " و " وداع ، كانا يرددان بعده أنغاما غامضة ، كانت

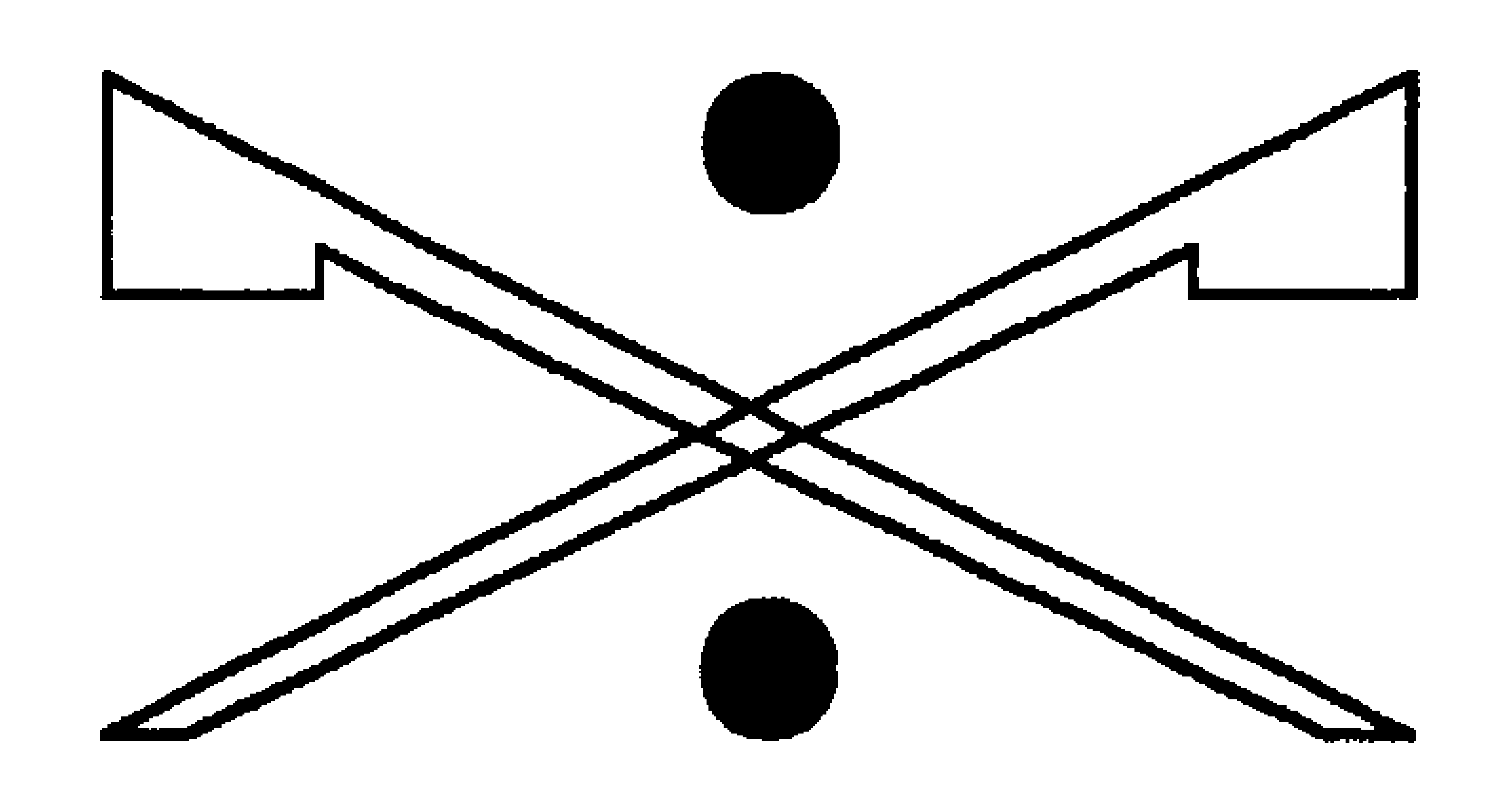
تقترب من موسيقاه يوماً بعد يوم .. وحبيبه ، كانت تذوب ، شيئا بعد شئ ، في القوى الآسرة لموسيقاه .. رأيتها فى الحقل ، ولم أصدق يومها عينى وما ترى .. رأيتها ، لدى المواعيد ، تنفض ما فى يدها ، ثم تقف ، رأيتها وشفتها فى التهليل .. يتوزع جسدها أجسادا ، بأذرعة ، وأرجل ، ورؤوس متمايلة متداخلة ، فى رقصة ، واسعة واسعة ، تبتغى كونا تلاشت حدوده في أكوان متنائية ، ورأيتها وشفتها فى الترنيم ، يذوب جسدها في الهواء ، كذبالة شمعة ممتثله .. رأيتها وشفتها ، ولم أصدق يومها عيني وما ترى ، لأنى ، فى المواعيد ، كنت أتوه ويطيش منى صوابى .. ثم أسترد نفسى ، وأعود إلى الدنيا ، ومشاغلها .. وكان قلبي دجاجة ، تبيض كل يوم سؤالا .. وكنت فى أنتظار طويل أرقد على أسئلتى .. ومرت الأيام ..

وذات ليلة ، استيقظت على أصوات قزم بلاد الأرواح تأتى من بعيد . ناديت حبيبه .. وأنقبض قلبى . قمت ، فأشعلت المسرجه ، وجدت " الريح " وأخته " وداع " فى فراشيهما فى سكون ، يفتحان أعينهما وينظران فى اتجاه الأصوات وينصتان .. صوت ضارع لقزم بلاد الأرواح نادانى ، فخرجت ، وعلى رأس حقلنا وقفت .. ورأيتها وشفتها ، تتمايل على ايقاعات الأصوات ، الصاعدة من محراب قلب القزم ، الواقف فى مكان ما .. كانت الأصوات في انتشار وصعود .

وفى إسراء ومعارج .. تسرى فى ظلمة الليــل ، فتنـبض الظلمة بحياة ... وتحبل الظلمة ، وتلد قوى تأمر بالامتثال ، وتنادى إلى السجود ..

وأنا أهم بالسجود، رأيت جسد " حبيبه " ،يشع أطياف أنوار، تبدأ بطيف أزرق عند حدود الهواء اللطيفة ، وتسافر في كل الألوان، إلى مركز ذهبى مشتعل ، لعله كان فى موضع قلبها .. ينتشر النور الذهبى فى ألسنة ، تتخلل وتسرى فى الألوان حتى تلامس ألسنة النار، والنور، حدود الظلمة ، فنزلت ، من حد المسقاة العالى، نحوها ، خائضا فى غيط القمح .. ظللت أمشى نحوها ولا أدركها .. كأن المسافة بيننا ثابتة ، أو كأنها كانت تبتعد ، وكانت الأصوات خشوعاً مصفى .. وعلمت ، من فرط إجهاد جسدى ، ولهاث أنفاسى ، أن بينى وبينها برزخاً لا أعبره .. ناديت بأصواتى كلها : " يا حبيبه " ، لم تسعفنى أصواتى، وكنت أمشى ، ثم ناديت بصوت الغريق ، ولجة التوهان تطوينى ، : يا حبيبه .. !! يا حبيبه .. !! " فأتانى صوتها من بعيد تأمرنى بالجلوس حيث أكون .. جلست ، وكنت فى شدة من التعب ، وجاء صوتها : امسك بأعواد القمح .. أنا جايه .. !!

وهـنا ظهـر نور الفجـر ولاح فسكتت شـهـر زاد عن الكلام المباح ..!!



الليلة الرابعة بعد الألف الأولى :

وقالت شهر زاد :

بلغنى ، أيها الملك السعيد ، ذو الرأى الرشيد ،أن المحبوب بيكى قد قعد على الأرض ، وتشبثت أصابعه بأعواد القمح ، حتى اقتربت منه حبيبه ، وكما هو مكتوب فى اللوح ، أنهضته وسألته :

ـ ماذا بك .. ؟

يقول بيكى : قلت : أخذنى النداه والتواه .. !!

فقالت : إنها صلاة منتصف الليل ، يصليها قزم بلاد الأرواح ..

قلت معانداً : بل أخذنى النداه والتواه .. !!

قالت : بل هى الأرواح ، دفعتك عن حماها ، حتى تنتهى من الصلاة .. !!

﴿

أنا بيكى أقول لكم : إن قلبى قد باض فيه الحسد سؤالا ..
وكان السؤال يقول : لماذا ؟ ألست تقيا .. ؟ لماذا تدفعنى الأرواح عن حماها؟! وقلت لحبيبة مغاضبا :

ما الذى يحدث يا حبيبه ؟

قالت : ألم تر إلى الرضا .. وإلى السبل قد تفتحت فيها كلمات لما مضى ؟!

إن ما هو مكتوب علينا يكون ..

قلت لها : تراءت لعينى أنوار ونار، ولم أفهم .. فى جوفى أشواق اشتعلت نارها ، ولم تنطفى .. وكأنى أريد المغادرة والسفر ..

قالت : أنت أقرب إلى نفسى الآن : أقرب إلي مما مضى .. تطلبك نفسى ، كما لم تطلبك أبدا .. ليتنا نكون ولحداً لا يفترق .. صمداً لا ينقسم .. !!

❁

أنا بيكى أقول لكم : احتوتنى حبيبة فى حضنها وقالت : اسم الله عليك .. !!

خامرني خوف أحسست به زاحفاً .. وشفته كموج ، فيه قوة لامرد لها ..

قلت : ماذا يحدث يا حبيبه .. ؟ !

قالت : لا تراعي .. فغداً مواسم الحصاد ..

سألتها كطفل لها : ماذا يقول القزم ؟!

قالت : ينادي في المواعيد يطلب السفر .. ويظهر أن من ينادي عليهم قد

استجابوا للنداء .. !!

سألت : هل يموت ؟!

قالت : هو في أحسن صحة .. مفتوح الشهية ، ولا يكف عن اللعب والصلاة والنداء .. لن يموت .. بل سيسافر ، عائداً إلى بلاده البعيدة .. !!

في الأيام التالية ، ازدهرت أشجار الحقل ، ونضجت السنابل ، وطرحت العنبات عناقيد ذهبية .. وتحدث الناس ، بفرح ، عن جمال

الأشجار وقوتها ، وضخامة حبات القمح فـى السنابل ، وإمتلاء فواكه الموسم وصفاء ألوانها .. ثم ظهرت الوجوه الكريهة لحاسبى الضرائب، وظهر القياسون ، والوزانون ، وخلفهـم صفـوف من الحراس ، يحملون الأسلحة ، والعصى ، والحبال .. هؤلا رجال الملك . وكان للملك " شيط " ثلاثة من الوزراء الأشداء .. الأول اسمه " زعيط ابن زعطه " والثانى هو " معيط بن معطه " والثالث هو " نطاط الحيط بن نطه " . وكان أشد الثلاثة قسوة وإلحاحاً فى مطاردة أعداء الملك .. و " شيط " الملك كان ملكا متمصرا .. وصل إلى العرش على جثث الخصوم .. وعاش فى حراسة الحراب الأجنبية ، وتزوج من الأميرة الملكية وارثه العرش .. وكانت مفاجأة لدار السلام أن يكون " نطاط الحيط " على رأس الوجوه الكريهه ..

وقف " نطاط الحيط " على الكيمان العالية ، مركزا صولجانه فى الأرض ، مفكراً ، مأخوذا بازدهار الخصوبة .. نزل . وقف أمام شيوخ البلد .. سأل السؤال الذى توقعه الشيوخ : ما السر ؟ ! قال له الشيوخ متظاهرين بعدم الفهم

ـ سر ماذا أيها الوزير القوى ...؟

قال : " السر .. !! " وضرب بصولجانه حجراً .. ثم قال : "

السـر .. !! " وطعن الطين بصـولجـانه .. ثم قـال : مـا السـر فى هذا الازدهار الذى لم يترك شيئا .. حتى وجوه أهل هذه البلد أراها فى هذا العام نضرة .. كأن قلوبكـم فارغـة من كل تعب ..وبا لكم مرتاح .. !!

قـــالوا : أيهـــا الوزير القـــوى .. مـا شـأن نضـرة الوجـوه بالضرائب .. ؟ !

قال على الفور : كل شئ لابد أن يدخل في الحساب .. وأنا من أنا فـى الوزن .. وفى القـيـاس وفى الحـسـاب .. وكلى شئ بالعـقل ياشيوخ دار السلام .. وأنا من تعرفـونى ، لا شأن لى بـالمعانى ؛ فـلا ترهقونى بالأوهام ..!! والقانون قائم على القاعدة المتفق عليها من قبل الملك : " ("مـاذا "يسـاوى " كم" ؟).. هذه الوجوه المطمئنة .. كـيف اطمأنت، إن لم يكن ما تحتها قدر كبير من الذهب والفضـة ؟ ! وهذه الأجـسـاد الشبعـانه الربانه ، كم تكلفت من طعام وشراب .. ؟ ! "

ثم إنه طعن الفضاء بصولجاته ، وقال :

ـ وسـيـخـبـرنى أحـدكم بالسـر فى هذا الازدهار ، وفـى وهذه الخصوبة، وإلا فإنكم تعرفونى ، سأنقب عن السر ، حتى لو نقضت كل حائط فى بيوتكم ، وجعلت أعلاه أسفله .

أصفرت وجوه شيوخ البلد ، وكنت ،وكنت ، واقفاً أنصت ، وعرفت أن الوزير لا يرعوى ، مهما كان من وضوح الحجه، تقدمت إليه وقلت :

ـ أيها الوزير القوى . أنا أخبرك بالسر .. لكن لى شرط واحد

قال : هات الشرط ..!!

قلت : أعطنى منديل الأمان .!!

فرمى على كتفى منديلا أبيض . فتقدمت ، وطلبت منه أن نكون وحدنا ، ثم إنه أمر الشيوخ والعساكر والوزانين والقياسين بالابتعاد ... فقلت له :

ـ أنا بيكي وحقلى معروف لكل الناس .. فإذا كان نصف الليل ، أيها الوزير القوى ، تعال إلى حقلى وسترى السر وتسمعه .. ستراه بعينيك وتسمعه بأذنيك ..

قال الوزير لى : يابيكى أنت ولد طيب ومكافأتك ستكون عظيمه .. !!

*

أنا بيكى أقـول لكم إنى عندمـا ذهبـت إلى دارى فى المسـاء وجدت " حبيبة " راقده والعرق يتصبب من جبهتها وفى حضنها " الريح " و " وداع " لم تنتبه إلى دخولى .. وكان قزم بلاد الأرواح راقداً فى سلته مغمض العينين ورأسه الكبيرة يعلوها العرق حبات حبات وكان مبتل الوجه والرقبه .. ثم إنى سمعت حبيبة تشرق بكلمات مبهمة ثم تقوم قاعدة فى فراشها فترانى فتقول لى :

ـ خير .. اللهم اجعله خيراً .. !!

سألتها : ياحبيبة .. ماذا رأيت ؟ !

قـالت : رأيت فـيمـا يرى النائم حلمـا تكرر ثلاث مـرات .. إنى رأيت الديك صـاح نـاحيـة الشـرق .. امـتطى أعلى السـور ، رفـرف بجناحين ، واحد أخضـر ، وآخر أحـمر ، الأخـضر هو الجناح الأيمن .. أطلق صيحة أخرى .. صيحة عظيمة رجت الأرض ، ثم رفرف .. وأطلق صيحة .. ثمار الجميز صلصلت .. انهمرت الصلصلات فى بئر الساقية وكان للصـلصلات أصداء لا تنتهى .. تجعد وجه المياه فى البئر وفارت .. الليلة كـانت مـثل هذه الليلة .. سـوداء .. سوداء لملمت جلبابهـا الأسـود . وامـتـدت الزرقـة وفـيـهـا نورت النجـوم رأيت أنى قـمت من فراشى .. وحدت ربى .. قلت لقلبى :" يا قلب اجمد" ، رأيت الديك

يشع أنواراً .. يطير من فوق الدار .. يحط على الجميزة .. ثم يرفرف ويطير فى المدى بعيداً يبعثر نوره رشاشا كالمطر .. ناديت عليه ، قال : إنى مسافر .. فقد جاء وقتى .. ناديته : وأنا .. ؟ .. قال : " أنت فى الصابرات عظيمه .. " قلت :" والريــح؟ ".. قال : والريح يطيـر مثلى : قلـت و " وداع ؟!: قال و " وداع " تتزوج ... وتصير أمـاً لعيال كثيرين .. ناديته : " إلى أين " ؟ قال : إلى الكنز المرصود ".. كل من ظهرت فى بيته العلامات يذهب ".. سألته : هل تعود ؟ قال : الوديان كثيره .. والطرق خطره .. فإذا عدت يوماً سنفتح الكنوز التى دفنها الأجداد ورصدوها على أسمائنا السريه ... ويومذاك لن يكون فينا محتاج .. والسقيم يبرأ .. ويفرح المحزون .. وتأتى أيام حلوه .. وتفتــح أبـواب الفــرح .. وتغلـق أبـواب الحـزن ..خير اللهم اجعله خيراً .. !!

فقلت لحبيبه : اللهم اجعله خيراً فالوزير " نطاط الحيط بن نطه " يحصى علينا أنفاسنا ، ويدخلها فى حساب ضرائب الملك .. !!

*

وقالت شهر زاد : يقول المحبوب بيكى :

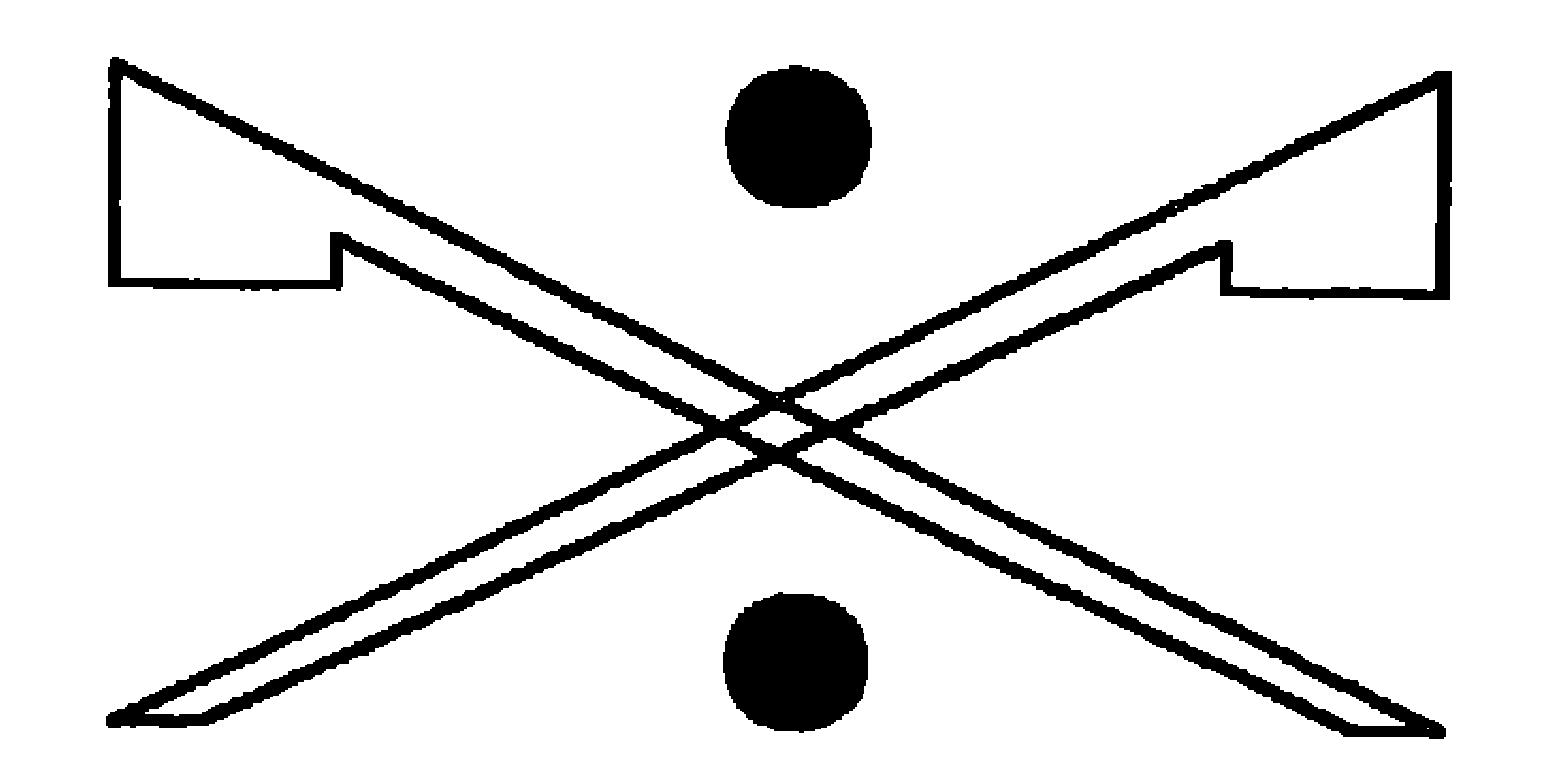
" وانتظرت موعدى مع الوزير ، بعد أن طمأنت خاطر حبيبه ، أمام نارٍ أوقدتها على رأس حقلى .. ومرت الساعات وأنا أفكر فيما عزمت عليه حينا .. وأفكر فيما رأته حبيبه حينا . أجلس القرفصاء معتمداً على نبوتى ..

وأقوم أمشى بعيداً عن النار .. حتى رأيت شبحا يقترب .. فسألت وأنا أقترب : من أنت .. ؟ قال الوزير : حسب الموعد ..!!

*

وظهر نور الفجر ولاح فسكتت شهر زاد عن الكلام المباح ....

*



الليلة الخامسة بعد الألف الأولى :

ـــــــــــــ وقالت شهر زاد

بلغنى أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد أن المحبوب بيكى كتب فى آخر اللوح الأول : الحمد لله قديم الاحسان . إنتهى ، وقال فى اللوح الثانى :

" أنا بيكى وهذه ألواحى .

قال الوزير نطاط : " جئت حسب الموعد " ..فقلت له : " إجلس واصمت " ومرت من الليل ساعة ، ثم رأيت باب دارى يفتح ، ورأيت القزم يقف ، ثم يرفع رأسه مواجها الفضاء .. ويرسل أصواتا لم أسمع

مثلها من قبل .. وجدت أنى أتجه نحو النار ، وأقف أمامها .. مسدود المنافذ والمنافس .. كانت ألسنة النار تتناوش .. تتسع حلقتها .. تصعد حواف الحفره .. تنتشر وتحيط بى ، نظرت حولى ، كان الوزير شديد الروع .. ذهل عن صولجانه فوقع فى اتجاهى ، وأصابت النار قمته المعقوفه ، فاشتعل بأزير وصرير .. حاولت الخروج ؛ فوجدت أنى محكوم .. وأن النار ترتفع ألسنتها وتصعد من حولى محيطة بى من كل أقطارى وغابت ألسنة النار بعيداً فى السماء .. وكانت تتجدد ، ولم أشعر لها بلهيب .. ثم هدأت .. وتخافتت ، وتلاشت .. وكان الوزير هلعاً ..

رأيت القزم يتخذ سبيله فى الليل عجبا .. كان خطوه الهادئ يتلاشى فى حركة جسده الخفيف الضئيل ؛ فيكاد أن يطير .. وكان يرسل أصواتاً جعلت قلبى يعتصر فى قبضة الندم .. وشق صوت الوزير " نطاط الحيط " لحظتى :

ـ هو السحر إذن ... ؟!

وكان يتحسس قمة صولجانه التى خرجت من النار خطوطها الذهبية والسوداء بتألقا وطعاناً ثم سألنى :

ـ ومن أين لك بقزم من أقزام بلاد الأرواح .. ؟

قلت : الشيخ الكبير فى المعبد جعله عندى للعناية به ..

مط بوزه ثم قال : آه .. المعبد أيضا يكسر التقاليد المرعيه .. !!

وفجأة أطلق قزم بلاد الأرواح أصواتاً ، جعلت الوزير يتضاءل ، ثم يتراجع إلى الخلف ، رافعاً يديه ناشرا كفيه أمام وجهه كمن يتوقى خطراً مداهما ... وسقط صولجانه فى الطين .. ظل يتراجع ، بينما الأصوات ترتفع فيها صلصلات .. وجدت أنى أتقدم نحو الوزير " نطاط " لأدركه ، قبل أن يصل به تراجعه إلى السقوط فى المصرف العميق .. كان يتراجع بظهره وقد بدأ يصدر أصوات الفزع .. وسقط فى المصرف قبل أن أدركه .. وما أن هممت بالصياح طلبا للنجده حتى وجدت القزم يقفز فى وجهى ، ويحيط بذراعيه رقبتى ، ويوسد رأسه كتفى .. ومن جسده أنبعث عبير ملأ صدرى ، وجعل فى قلبى سكينه .. أحتضنته ، ونظرت فى المصرف ، كانت صفحة الماء ساكنة تتلألأ تحت نجوم الليل .. والليل ساج .. وعلى الحقول سلام .. !!

*

أنا بيكى ، دخلت دارى حاملا قزم بلاد الأرواح .. وجدت حبيبة راقدة فى سلام ، وعن يمينها جعلت فراش " الريح " ، وعن يسارها جعلت فراش " وداع " ، وكانت جميلة الوجه ، حلوة اللون فى نور " المسرجه " ..

أنا بيكى ، خرجت من دارى حاملا قزم بلاد الأرواح ، ويممت وجهى إلى المصرف . رأيت صولجان الوزير نطاط مرمياً فى الطين .. التقطته ، ولدى المصرف وقفت . ألقيت بالصولجان فى الماء الساكن .. أضطرب الصولجان كسمكة ، ثم جرى ضارباً صفحة الماء ذاهبا فى المدى .. وغطس ولم أسمع له صوتاً ..

أنا بيكى ، عدت إلى دارى، وضعت القزم فى سلته ، نمت نوماً هادئاً،. لم أسمع أصواتاً،. لم أر أحلاماً،. وفى الصباح أستيقظت ، فوجدت قزم بلاد الأرواح راقداً فى صدرى . وكانت بى أشواق غامضة إلى أماكن بعيده ..

*

فى الصباح قالت لى حبيبه : هيا نخرج إلى الحقل فاليوم يأتى رجال الملك ، أهاجت كلماتها ما حدث فى الليل .. فقلت لها : "

اجلسى .. ! " وحكيت كل ما جرى وما رأيت .. فشحب لونها وقالت بعد سكوت : هيا نخرج إلى الحقل ، وما هو مكتوب على الجبين تشوفه العيون ..

وخرجنا . وكان الصباح رطب الهواء . سبقنا الناس إلي الحقول . وجدناهم يتحدثون .. وقال أهلى وأصحابى :

ـ يا بيكى .. ياحبيبه .. ما أشد إمتلاء السنابل عندكما .. وعنباتك طرحت عناقيد مكبره مثل الضروع المترعه .. يابيكى .. هل نجعل قمحك تقاوى للموسم الآتى .. ؟! دعونا نأخذ من أعنابكم هدية للملك ..

قالت حبيبه : لكم ما أحببتم ..

فقالوا : بيكى إذن يحمل الهدية إلى الملك .. !!

*

بدأ القياسون فى العمل ، وانهمك الوزانون فى الوزن ، وموسم الحصاد جمع الأهل والخلان .. الكبار والصغار .. الصبيان والبنات .. ولم يظهر للوزير أثر .. ولم يبدُ على أتباع الملك قلق .. وبدأ لى أن ما

حدث ليس غير ذكرى بعيده .. ومرت أيام ثلاثه .. حملت بعدها هدية الملك من بواكير الحقل ..

استقبلني حاجب الملك وسميره الوحيد وقال لي : " الملك في بيت حزنه ، فالملكة طريحة الفراش .. قدم هداياك إلى الأميره .. " وتقدموني إلى البستان ..

وبينما كنت أمشي تحت شجرة الجميز سمعت هدهداً يقول لوليفته : " أنظري هذا هو" بيكي" الفلاح الذي سيكون سيداً لهذا القصر .. !! " فقالت له وليفته : حقاً .. سيكون سيداً على هذا القصر .. . وسيحمل في قلبه أحزاناً كثيرة .. !! "

ثم إنهما حوما حولي .. وطارا فوق رأسي ثم عادا إلى عشهما في الجميزة .. !! أدهشني ما سمعت . غير أن ظهور الأميرة ، الحلو لونها، قد أعادني إلى صوابي . نظرت في وجهي بنظرات تفيض بالسرور والبهجة .. قالت : ما لهذا الوجه منيرا كقمر ..!! من أين لك هذه السعاده ؟! قل لي بالحق ماذا يقول لك قلبك ؟ ! .

أدهشني كلامها . ارتبت في نواياها .. تقدمت نحوها . أنحنيت ، وقدمت هديتي .. ورفعت عيني ، فسقطت العين في العين .

الروح الماشية في عينيها خاطبت الروح الماشية فى عينى . لم أصدق عيني . قالت : أنت لا تكلمنى ..!!

قلت : أنت نور وندى .. صوتك حلو ، ونسماتك زكية الرائحة ، يا أميرتنا الملكية المبجله .. !!

قالت : أذكر اسمك .

قلت : بيكى ..

قالت : كلماتك حلوه مثل فاكهتك .. أنت ممتلئ خيراً كسنابلك .. كيف سبقت ثمارك الثمار في نضجها ؟!

قلت : سبقت لتكون هدية الأرض الأولى إلى الأميرة المبجله ..

قالت : إجابة تليق بذى اللب والعرق النبيل .. !!

ثم إنها واجهت حاجب الملك وسميره الوحيد آمره :

ـ امنحوا بيكي كتاناً من كتان الملك ، وعطورا من عطوره .. وله عندي ثلاث حاجات ألبيها له فى أى وقت يشاء ..!!

انحنى الحاجب للأميره انحناءه الطاعة ، ثم واجهنى قائلا : أذكر حاجتك ..!!

قلت وأنا أتراجع خطوه : لم يأت الوقت بعد .. !!

قالت الأميره : هو آمن . وله أن يدخل القصر فى أى وقت يشاء .. امنحه جوازا دائماً للمرور ..

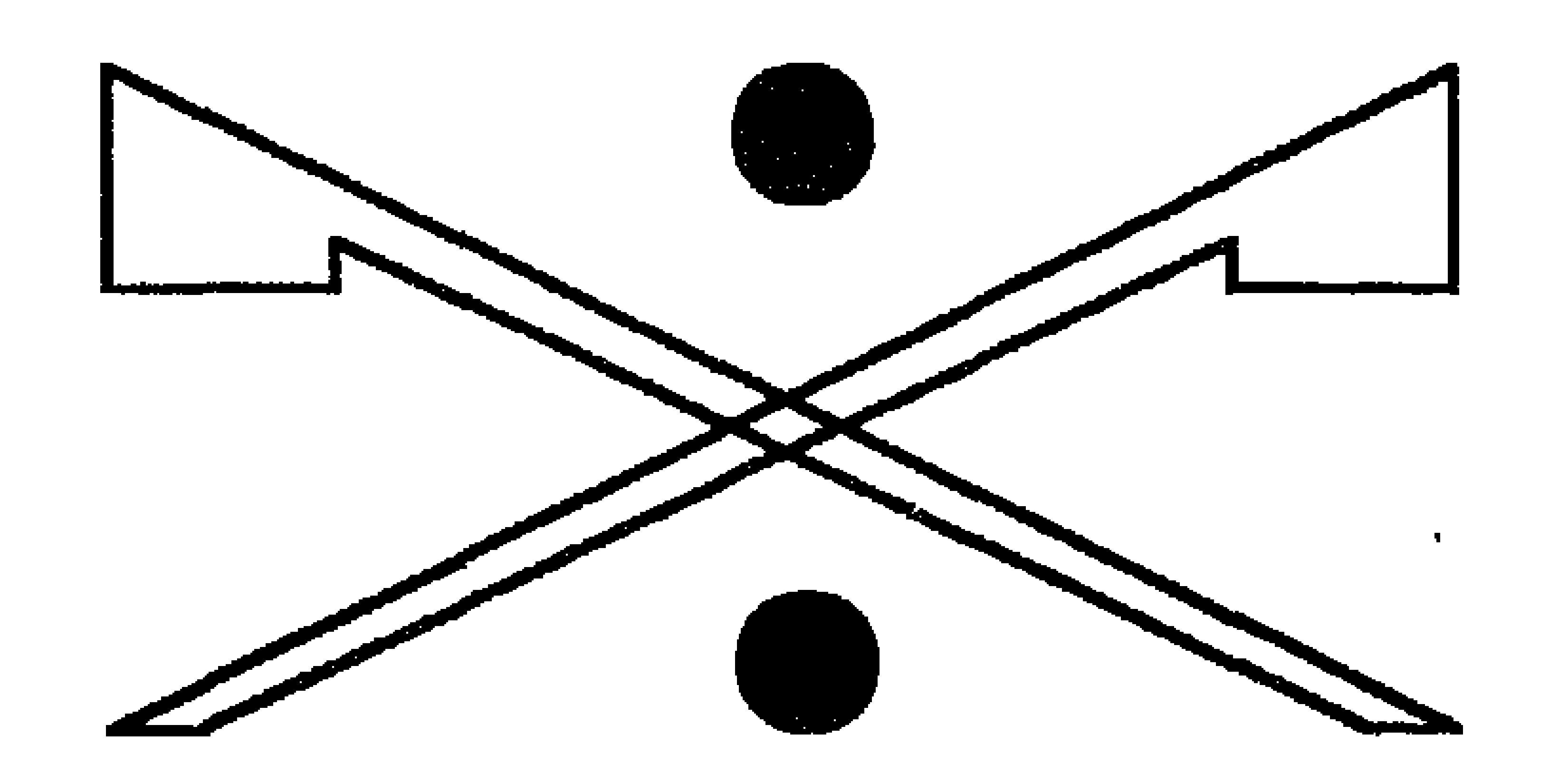
وبينما تبعت الحاجب الملكى لا ستلام الكتان والعطور والجواز قالت الأميره : يابيكى تعال إلينا قريبا ففى جبينك شعلة نريد أن نسائلها سرها .. !!

*

عدت إلى دار السلام بعد يومين ، وكان قد مرّ على تلك الليلة سبعة أيام، استقبلنى أهلى وخلانى فأعطيت كلا منهم نصيباً من كتان الملك ونصيباً من العطور .. وأعطت حبيبه كما أحبت نفسها ، ولم نخص نفسينا بشئ .. وكنا فى سرور وفرح حين أنفجر في الغيطان صوت أستغاثة يأتى من بعيد :

ـ غريق .. غريق .. !!

*



الليلة السادسة بعد الألف الأولى :

ـــــــــــــ وقال شهريار لشهر زاد

ـ ياشهر زاد .. قلت بالأمس إن بيكى قد سمع صوتا ينادى معلنا عن غريق .. !!

قالت شهر زاد : يقول بيكي فى اللوح الثانى والله أعلم بغيبه وأحكم : " فتبادلت نظرة مع حبيبه ، قمت - بعدها - ألبى نداء الاستغاثة .·. وكنت أول من وصل إلى شاطئ المصرف .·. وكانت جثة الوزير قد نهشتها الأسماك ولم يبق منها غير مزق من الملابس تغطى ما قد تبقى منها .. وضعت يدى على قلبى وقلت لنفسى : ماذا يحدث لك يا بيكى . ؟ !

وعلى رؤوس الناس حلقت طيور الصمت .. وما أسرع ما حضر رجال الملك فأبعدوا الناس . وظهر من بينهم رجل حليق الرأس أفطس الأنف جاحظ العينين أحمر الوجه ، .. لوح بسوطه . وقرع بسوطه . وهتف آمرا بصوت كطحن الرحى : فليلزم كل واحد منكم داره .. ومن يخرج ، دون تصريح منى ، يقتل قتلاً ، ويصلب صلباً ، حتى تأكل جوارح الطير من رأسه .. !!

وعرفت كما عرف كل الناس فى دار السلام أنه الوزير " زعيط بن زعطه " فسقطت القلوب فى الأرجل .. وانصرف الناس بخطو ثقيل ..

*

فى الدار وجدت حبيبه " و الريح " و " وداع " يلعبون لعبة " الاستغمايه " .·. يشاركهم اللعبة قزم بلاد الأرواح ، وكان هو الذى يختبئ .. أخذوا يبحثون عنه فى أركان الدار ، وتحت الأريكة والسرير .. وخلف الفرن وفيه .. فلم يجدوا له أثراً .. سألتنى حبيبة حين رأتنى : " هو ؟ ! " قلت لها : " نعم " . فتركت الريح ووداع منهمكين فى اللعبة وقالت : " قلبى على بلدى وعلى الناس .. " قلت لها : " وماذا أفعل .. ؟! " قالت بعد تفكير : غادر البلد .. سألتها : ولمن

أتركَكم وأنتم أحبائى .. ؟!

قالت ": أتركنا للعناية الالهية .. " قلت لها : " يا حبيبه ؛ سيقع الانتقام عليك وعلى البنت والولد .. !! " قالت : " وهل عندك كلام آخر ؟! " قلت لها : دعينى أفكر ..

*

وفى الليل عرقت عرق الخوف . وبرد جسمى . فقمت ألتمس الدفء لدى حبيبه النائمة بين " الريح و " وداع " .. فوجدتها مستيقظة مفتوحة العينين . قلت لها : يا حبيبه أنا ، الذى تعرفين شجاعتى ، قد خفت .. " قالت : " لا تراعى فأنت برئ .. " .. ثم إنها وسدت الولد والبنت وسادتيهما وقامت .. أخذت رأسى فى صدرها ، وتشممت بملء الصدر مرة بعد مرة ، ثم ضحكت فصدر عنها أصوات أرغول وناى ومزمار .. وأصوات صلاصل .. رفعت رأسى من صدرها . نظرت فى عينيها .. جاوب قزم بلاد الأرواح ضحكتها بضحكة فيها نفس الأصوات .. وكانت الضحكتان للابتهاج .. سألتها : " ما الخبر ؟ " قالت : " خير .. اللهم اجعله خيراً .. " ثم إنها نظرت فى عينى وقالت : ستنجو من كل خطر .. !! إنى أشم فيك رائحة امرأة غريبه .. من هى المرأة .. ؟! قلت : أنت من تعرفين طهارة ذيلى .. !! " قالت : " أنت

فحل قوى .. !! " قلت : ياحبيبه .. عيب ما تقولين !! " قالت : أنت تفوح منذ عدت بروائح امرأة غريبه رأيتها تطل على الروح الماشية فى عينيك .. رأيت ظلها ساقطا علـى ملامحـك .. من هى المرأه ؟! " قلت : أنا رأيت بنات البلد كلهن فى موسم الحصـاد .. ورأيت كل النساء فى النواحى .. !! " قالت : يابيكى ما ابن رمانه .. أنا عجنتك وخبزتك .. !! " ثم إنها ضحكت نفس الضحكة وقالت : لا تراعى .. هى ليست من بنات البلد وليست من النواحى .. إنها غريبه .. فقل لى عليها .. وأنا ورحمة أمى سأزوجك إياها .. !! " فحكيت لها كل ما حدث لى فى القصر الملكى منذ أيام .. فإذا بها تضحك نفس الضحكة وتقول : هذه هى إذن الأميرة " فرحانة" بنت الملك "شيط ".. ؟! أنت مـولـود فى أبـراج السعـود ، يا بيكى ، ..أنت مولـود فى أبراج السعود .. اذهب إليها .. " وما أن قالت لى هذا الكلام حتى وجدت قزم بلاد الأرواح يقفز إلى صدرى ويعقد ذراعيـه خلـف عنقى ويتوسد كتفى .. قالت حبيبه : جاء الوقت يا بيكى .. ارحل وخذه معك وإحفظه كنور عينك .. وأمانة عليك ، أن تعيده إلى بلاده .. فهل تعاهدنى ؟ ! قلت بدون وعى : على عهد الله وميثاقه ياحبيبه .. علي عهد الله وميثاقه .. !!

ثم انخرطت فى بكائى .. ولم أنتبه إلا على يد قزم بلاد الأرواح تربت ظهرى ، ويدى حبيبه تمسحان دموعى .. !!

*

أنا بيكى قلت لها وأنا أغادر الدار التى أحبها قلبى : " يا حبيبه قلبى يوجعنى .. " ! قالت : سلامة قلبك .. !! إن شاء الله عدوك .. قَوِّ قلبك ، واعتمد على الحى الذى لا ينام .. !! " قلت : " لا حول ولا قوة إلا بالله .. !! " ثم إنى عانقتها وقبلت رأسها ،ويديها ، ورجليها ، وقلت لها : ومتى اللقاء ؟! " قالت يوم اللقاء .. فى الدنيا أو فى الآخرة .. ولك العمر الطويل ..!!

فاعتمدت نبوتى وعلى ظهرى حملت مخلاتى .. وفى صدرى احتضنت قزم بلاد الأرواح ومضيت فى الليل ..

*

أنا بيكى ، أعترف لكم بأن خوفي قد زايلنى بعد مغادرتى الدار .. وأنى رأيت النجوم الساريات بعين جديدة .. وكدت أهتف للدنيا النائمة ، فأوقظها ، على صرخات ميلاد جديد لى .. وفى الليل ، راودتنى المغامرة .. وهممت بالإعلان عن نفسى لرجال الملك .. ورأيت

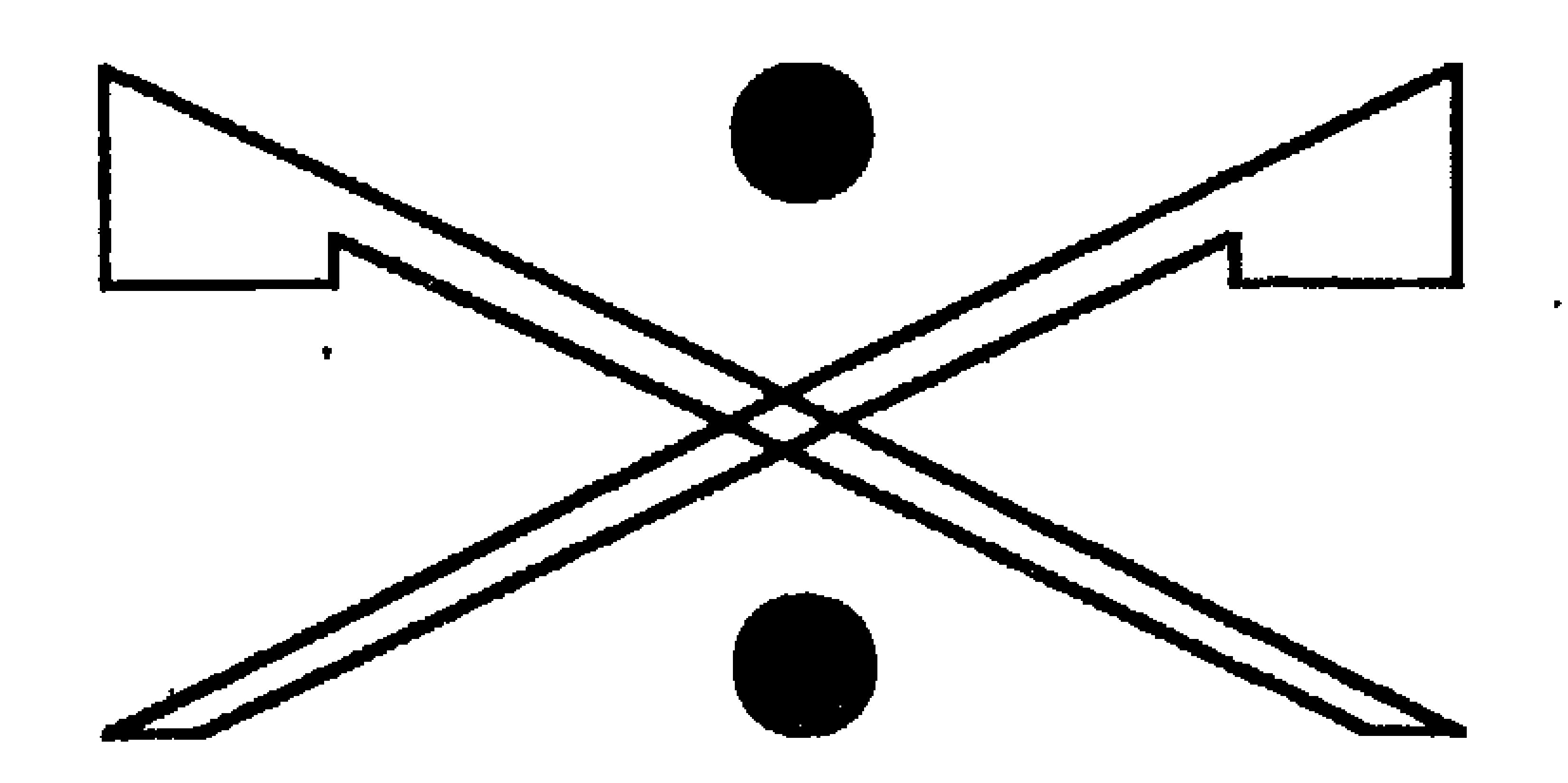
نفسى فحلاً عظيماً يتضاءل أمام خطره جبروت ابن زعطه ..

أنا بيكى ، أقول لكم ، إنى كدت أبيع نفسى للمغامرة .. لولا أن رأيت القزم يرفع رأسه الكبيرة من علي كتفى . ويمسك أذنى بكفيه الصغيرتين . وينظر فى الروح الماشية فى عينى بعينين تجلت فيهما أرواحه السبعه .. وأصدر صوتا أطار قلبى من صدرى فغبت عن زمانى .. وغبت عن مكانى .. وركعت على الرغم منى .. ثم رأيت نفسى أقبل رأس حبيبه وكفيها وقدميها .. ورأيت " الريح " و " وداع " .. وبكيت .. بكيت حتي تصدعت أركاني ..

ثم إنى نهضت وقد عزمت على أمور " ..

*

وهنا ظهر نور الفجر ولاح .. فسكتت شهر زاد عن الكلام المباح...!!



الليلة السابعة بعد الألف الأولى :

ــــــــــــ وقالت شهر زاد

أيها الملك السعيد ، ذو الرأى الرشيد . كان ما سمعته هو اللوح الثانى . وقد ختمه المحبوب بيكى بحمد الله قديم الإحسان ووضع عليه خاتمه ثم قال :

اللوح الثالث : أنا بيكى ، وهذه ألواحى .. أقول لكم ، إنى لم أذهب إلى الأميرة الملكية . ولم أمزق جواز الدخول إلى القصر الملكى .. وكنت أعلم أنى حلوت فى عينيها ، وأنها منحتنى طلب ثلاث من الحاجات .. وكنت أعلم أن طريقى إلى النجاة معبده ، لولا ماداخلنى من شك بعد رؤيتى للأرواح السبعة الماشية فى عين القزم ..

وهذا الشك ، هو ما جعلني أصرف النظر عن الطريق المعبده ، وأمشى فى بلاد الله ، وألتقى بخلق الله .

*

كان القزم علامتي المميزة .. فسألته : ماذا ترى فى الأمر .. ؟ فضحك ضحكة مثل التى سمعتها فى دارى .. ووجدت نفسى أصنع له غرارة من قماش دخل فيها وحملتها على ظهرى بجانب غرارتى ومضيت فى البلاد .. بلد تشيلنى وبلد تحطنى .. وسمعت فى سفرى أخباراً ..

سمعت أن البر كله يتحدث عن بطل عظيم .. ذلك الذى قتل الوزير " نطاط الحيط ابن نطه " .. وسمعت أن الوزير " زعيط بن زعيطه " يطارده فى أنحاء البلاد كلها وأنه لا بد أن يضع يده عليه ..

سمعت حكايات نسجها الناس عنى ، وعن الوقائع العظيمة التى وقعت بين أتباعى وبين رجال الملك " شيط " بقيادة " زعيط " الوزير الكبير .. وعن أسماء قادة أخترتهم لجيوشى وعصاباتى .. وعجبت من قوة رجالي وإصرارهم على حمايتى فى كل الحكايات التى سمعتها .. وروادتنى الغلمه . فامتثلت للتواضع .. وعملت صيادا فى النهر ..

وراعيا في التلال .. ثم جربت الصنائع ، ومالت نفسى إلى النجارة والحدادة ، وطرقت النحاس والحديد .. ومالت نفسى إلى الماء فركبت مركبا وهبطت فى النيل حتى انتهيت إلى البحر الأخضر الكبير ..

إنى رأيت البحر المالح واسعاً .. شواطئه بعيدة لا يطولها البصر .. وفيه أمواج تقول لغة أبهجت القزم ، وجعلته يقفز من جرابه ، ويرقص رقصة عجيبه .. كنت قد سمعت عنها ولم أرها .. كانت قدماه لا تلمسان الشاطئ الرملى إلا ليرتفع فى الفضاء .. رسم بحركاته فى الفضاء مدائن ذهبية ، تعلوها سحب فضيه ، وأرضها خضراء زبرجدية .. وأطلق فى المدائن كائنات نوريه .. عطرت الهواء بأريج حلو .

وسرت فى الجهات تهاليل وتسابيح .. واشتعلت شموع فأضاءت الحدائق ونورت البساتين . وتتالت أمام عينى صفوف من رجال مباركين .. وكانت الأصوات تحمل البشارات والوعود .. وهلت صفوف الأصوات .. تناءى سرورى راحلا فى الأفق وتلاشت الأصوات .. ثم إذا بى أرى قزم بلاد الأرواح وجهه يواجه وجهى .. ويطلق الضحكة نفسها . تلك التى تعيدنى إلى حبيبه و " الريح و " وداع " فقلت لنفسى .. " ما أشد الشوق .. والبعد مر .. !! " . ثم إنى أرسلت النظر فى البحر وقلت : هذا طريقى . وفيه قد ألتقى بمنية النفس ،،!!

فعملت بحاراً ،أطلقت على نفسى أسما آخر . فحين سألنى ريس المركب عن أسمى قلت " صابر " .. ولما سألنى عن القزم قلت إنه أخي ابن أمى وأبى .. وقلت إنه مبروك .. وأسمه " فاكر " !!

*

ذهبت في البحر .. لا رفيق لى من أهلى وخلانى .. وحيداً فى المراكب الغريبه وتعلمت الصمت .. جربت الآلام جسدى فتأوهت في قلبى ولم أتكلم .. ابتلعنى البحر ولفظنى مرة بعد مرة فصدقت أن البحر له وفاء .. امتلأ جسدى جراحاً من أسلحة قراصنة البحر ومن أنياب الأسماك الضاريه وكنت أنجو بعد التجربة .. وكنت فى كل مرة أزداد كرامة وحبا في عيون البحارة ورؤساء المراكب ..

وكان القزم ساكنا .. يأكل ويشرب وينام .. وأحبه البحارة ورؤساء المراكب الذين عملت معهم .. وربطوا كلاًمنّا بالآخر : " فأنا صابر الذى أخوه فاكر " .. وهو " فاكر الذى أخوه صابر المراكبى .. " وكان مكان راحتنا وإقامتنا ، بين كل رحلة وأخرى ، نزل أسمه " حانة المغادرة " . طابقه السفلى ننزل إليه بدرج كثيره زلقه ، ويشبه فوقعة بحرية عملاقة ، وطابقة العلوى منقور في " جبال المراقى والتراقى "

حيث يقع مرفأ " الطوالع " العتيق وهناك كان ميلاد الربابنة اللوامع .. منذ كانت أول الدنيا ..

*

كنت أعود إلي مرفأ " الطوالع " بعد كل رحلة .. وما أن يراني الناس حتى يقولوا : " أنظر .. ها هما صابر وفاكر .. " كنت أعود وفى قلبى أخبار البلاد الأجنبيه .. وظللت صامتاً ، حتى كانت ليلة ، دخلت فيها حانة المغادره ، ونزلت إلى القوقعة ، فشربت من خمر الذكرى العتيقه فثملت ، وانحلت عقدة لسانى ، فانطلق الكلام من قلبى : تكلمت عن عجائب البلاد وعن أخبار العباد .. فالتفت حولى حلقة من الرجال والنساء .. أنصت رواد الحانه .. ثم خدمها .. ثم رأى الساقون أن كلامى حسن .. فأنصتوا .. واتسعت الحلقة ، ورأيت أولادا من البنين والبنات ، من أولاد رفاقى فى البحر .. وصرنا شهيرين محبوبين : آنا صابر وأخى فاكر .. ينتظر الناس أو بتنا بعد الغياب ، فإذا وصلنا هللوا وتحلقوا حولنا وأعدوا مائدة من السمك المشوى . وخضروات الحقل وفواكه الموسم ، وجراراً من الجعه .. وقنينة من زجاج فيها خمرتى الصافيه .. ثم يقول قائلهم : أيها المحبوب صابر .. التحية لك ولأخيك فاكر .. ها قد تباركت عيونكما بأرض الوطن ..

ليطب قلباكما .. أنتما في صحة جيده .. والبحارة الذين كانوا معكما عـادوا في صحـة جيدة .. ولم ينقص منكم أحد .. فاحك لنا ياصابر طرفا مما رأيت .. " .

فأبدأ الكلام قائلا : لقد غسلت جسمي في الماء .. فألقوا إلى أسماعكم .. وانصتوا بقلوبكم .. إن الله يحب المنصتين .. !!

✿

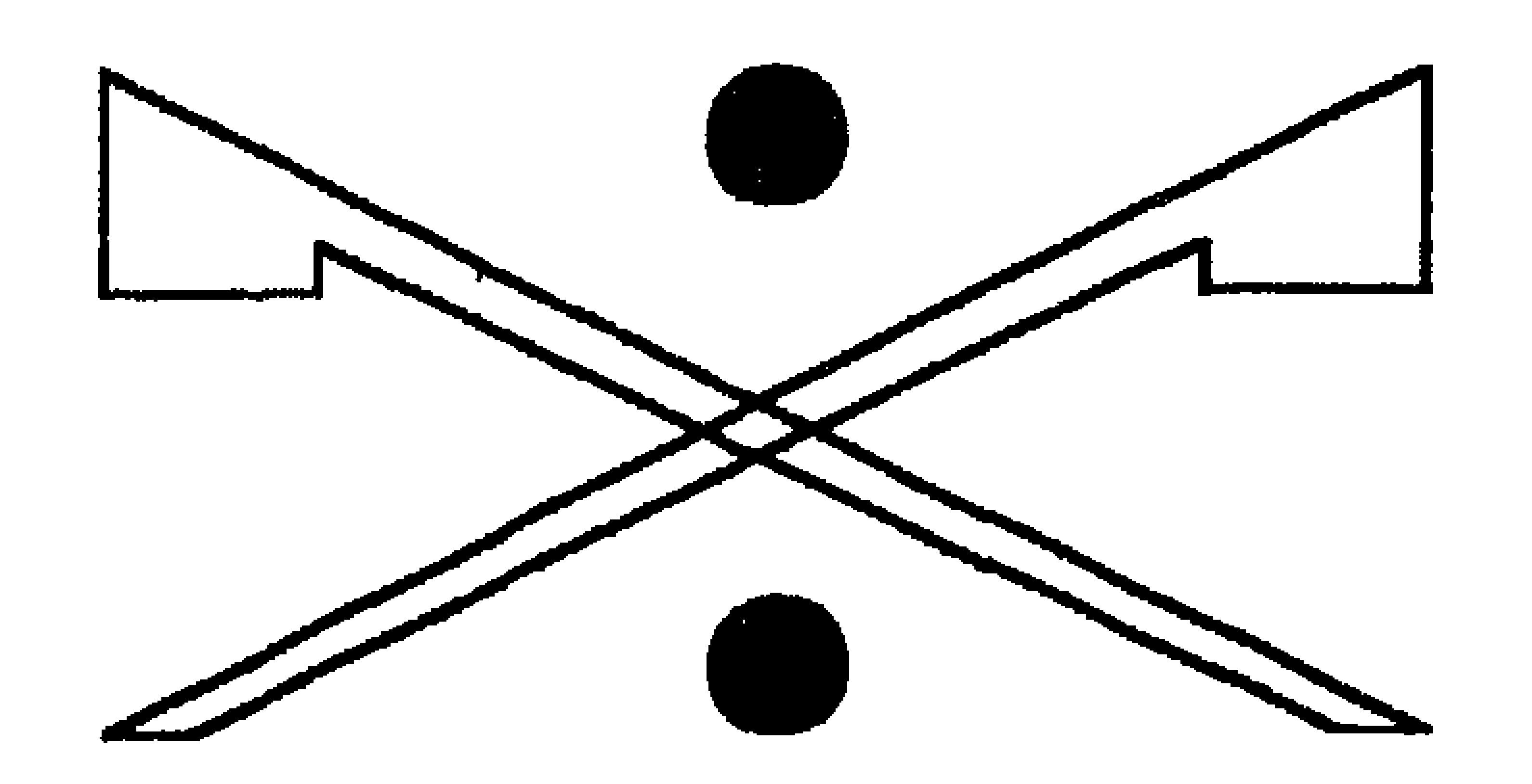
كلمتهم فيما رأيته وسمعته .. وأنصتوا .. حدث هذا ليلة بعد ليلة ، بين كل رحلتين لي .. وفي كل ليلة ، قدحت زناد الأشواق في المنصتين ، فكانوا يبيتون في فراش الأسئلة .. ويرون في الليل الساجي الأمكنة النائية فتدخل زمانهم ويدخلونها .. ليكون لكل منهم شئ منها .. والشوق لا تشبعه أغذية الأحلام ..

كلماتي أيقظت الأرواح .. ورأى الناس الذين لم يجربوا البحر مثلي أني قد ذهبت وأني أعود .. فتجرأت قلوب .. وطلب بعض الرجال أن يرحلوا معي .. وذهب بعضهم وحدهم ، لكن واحداً منهم لم يتكلم بكلامي .. وبعضهم تكلم بكلام يشبه كلامي .. ولم يهتم بهم أحد ذلك لأنهم أهتموا في أسفارهم بالذهب ، والفضة ،والأحجار الكريمة ، وكنوز البحر التي نهبها القراصنة ، وأخفوها في الجزائر النائيه .

أما أنا فقد كنت أرى ولا أغض الطرف عما أرى .. كنت أبحث وأتعرف .. والبحر واسع واسع .. وله شهيق .. وله زفير .. والجسد فى عافية وشبع ، والشوق عظيم ، واليقين فى كماله كنز مرصود فى أرض مجهوله .. وكان الوصول مرامى وبغيتى .. !! حتى كانت إقامتى الأخيرة فى مرفأ " الطوالع " .. !!

*

وظهر نور الفجر ولاح فسكتت شهر زاد عن الكلام المباح ...!!



الليلة الثامنة بعد الألف الأولى :

وقال شهريار لشهر زاد

لو كنت أعلم ما تنطوى عليه روحك من الكنوز أيتها النقية شهر زاد ما كنت تركتك أسيرة الخوف من بطشى طوال ألف ليلة وليلة .. !!

قالت شهر زاد : حفظ الله الملك .. ويفعل الله ما يشاء ..!!

قال شهريار : ليتك تعرفين ما أجد من عذاب الضمير ..!!

قالت شهر زاد : " كل شئ عنده بمقدار .. عالم الغيب والشهادة ".. لاتنس يا مولاى ما كان .. وانظر فيما هو كائن .. فو الله ما شئ على الله بعزيز .. ولننظر فى هذه الألواح ..

قال شهريار : فصلينا إذن بالمحبوب بيكي وقزمه .. أو كما سمي هو نفسه : "صابر وأخيه فاكر.. "

قالت شهر زاد : بلغنى ، أيها الملك السعيد ، ذو الرأى الرشيد ، أن المحبوب بيكى قد قال فى بقية اللوح الثالث :

" أنا بيكى ، الذى سميت نفسى صابرا .. نزلت بعد رحلتى الأخيرة إلى مرفأ " الطوالع ".. فلما أردت الدخول إلى حانة المغادرة ، كعادتى ، اعترضنى أخى " فاكر " فركعت على ركبتى حتى صارت عينى فى عينه .. طالعتنى فى عينيه أرواحه السبعة وحول وجهه عنى إلى شاطئ البحر .. ومشى فتأثرت خطوه حتى وصل إلى مكان قريب من الماء .. وجلس فجلست .. فصعد إلى حجرى ووضع رأسه على كتفى ونام .. ومرت ساعة من الزمان .. ثم سمعت كلاماً بالقرب منى .. تلفت حولى .. أقترب الكلام وعلت أصوات المتكلمين .. وكانوا مجتمعين خلف أخشاب المراكب القديمة التى تكسرت ألواحها وظهرت عظام هياكلها ..

*

قال قائل منهم : وكم لبثتم فى حربكم هذه ... ؟

قال ثان : لبثنا سنين عددا ولم يظهر لنا " المحبوب بيكى " حتى اليوم .. لقد حمينا حرمته وحصنا زوجته .. وربينا ابنه وابنته .. وكل الذين تبعوه قالوا لم نره .. لقد رأينا قواده .. وقد قتل منهم من قتل .. وأسر منهم من أسر ، ومات على الصليب ، أو على الخازوق ، أو مات صبراً ، من مات ، من هؤلاء القادة العظام غير أن " المحبوب بيكى " لم يظهر حتى لتعزية الأهل والأصحاب والخلان لكل واحد ممن ماتوا وهم كثيرون ..

سأل الأول : وما أخبار الملك .. ؟

قال الثانى : إنه صار لا ينام الليل منذ موت الزوجة الملكية .. وعيوننا فى القصر يتحدثون عن تعاظم سلطة الوزير " معيط بن معطه " وعن غرامه الدفين بالأميرة الملكية .. وعن غيرة الوزير " زعيط " من هذا الغرام .. وخوفه مما تأتى به الأيام ..

قال ثالث : فهل تحقق ما أشيع عن سعى عيون الملك لكشف مخبأ زوجة " المحبوب بيكى " للأيقاع بها وبابنه وابنته ؟ ! .

قال رابع : هذه أخبار ملفقه ، والرأى عندي ، أن الوزير زعيط هو الذى صنع الشائعة ، وبعثها فى الأرض ، حتى يصيب القلق

رجال " المحبوب بيكى " فيتحركون من مكامنهم سعـــيا إلى تأمين زوجة " المحبوب "وأولادها ..

قال الأول : لقد تعددت المعارك فى الربيع الماضى .. ولولا استماتة الفلاحين لوقعت هزائم مؤكدة فى صفوف رجال " المحبوب " .. ويشاع أن الوزير معيط قد صار رئيسا لدار الحياة ... !!

*

أنا بيكى أقول إنى أنصت بقلبى إلى أخبارى وأخبار حبيبة والريح ووداع .. إنى ساءلت البحر عن منية النفس وعن موقع الأرض المجهولة .. قمت حاملا قزم بلاد الأرواح على قلبى ، ومشيت طويلا على شاطئ البحر .. أنصت إلى كلام البحر ، وكان هائج الموج ، ونذير العاصفة يصفر .. تعبت ، فعدت إلى حانة المغادره ، آملا أنى سأهتدى إلى سبيلى ، وقد أرى إشارة إلى وقتى .. وجلست ، وجاء المريدون ، تحلقوا حولى ، حلقه داخل حلقة .. انتظروا كلامى فلم أتكلم .. شووا السمك ، وأعدوا مائدة لسرورى .. أيقظت القزم فلم يستجب .. غطيته ببعض ثوبى ..!!

دعونى إلى الطعام فعافته نفسه .. وما لبثت أن رحلت فى

مراكب الذهول ، فقال بعضهم لبعض : " لعله أن يكون مريضاً أو لعل المريض أخوه فاكر " ..

ومرت ليلة بعد ليلة ونحن على هذه الحال .. حتى جاءت ليلة ، أفرخت فيها حيرة الأصحاب والخلان والأحباب ، فقال قائلهم : " صابر يا حبيبنا فى الله .. لك السرور والعافية ، وليطب قلبك.. هأنت قد عدت إلى الوطن ، وعاد رفاقك سالمين ، لم ينقص منكم أحد .. وأخوك فاكر طيب وصحته حسنه .. ونحن لم نجد ما تعودناه منك ، إن قلبك لم ينشرح ، ونفسك لم تنبسط فهل نحن من سبب لك الهم ؟!.

قلت لهم : لا ، أيها الأصحاب والخلان والأحباب ؛ أنتم تعرفون أنى لا أخفى عنكم كلاماً فى قلبى ، وقد أحببتكم كما أحببتمونى هذه السنين ، ومنكم من صار بحارا سافر إلى البلاد الأجنبية ، وعرف البلاد المجهولة ، ورافقنى على مراكب الناس .. أو كان تحت إمرتى .. أيها الأصحاب .. لقد سئمت نفسى السفر فى مراكب الناس . . إنى أحب أن أبنى لنفسى سفينه .. !!

فقالوا : نحن معك .. !!

قلت : فماذا لدى كل منكم ؟!

قالوا : الصفاء .. !!

قلت : ألا ليت شوقكم مثل شوقى ..

ثم قلت : أريد زنداً يشارك زندى .. وقلباً شجاعاً ..

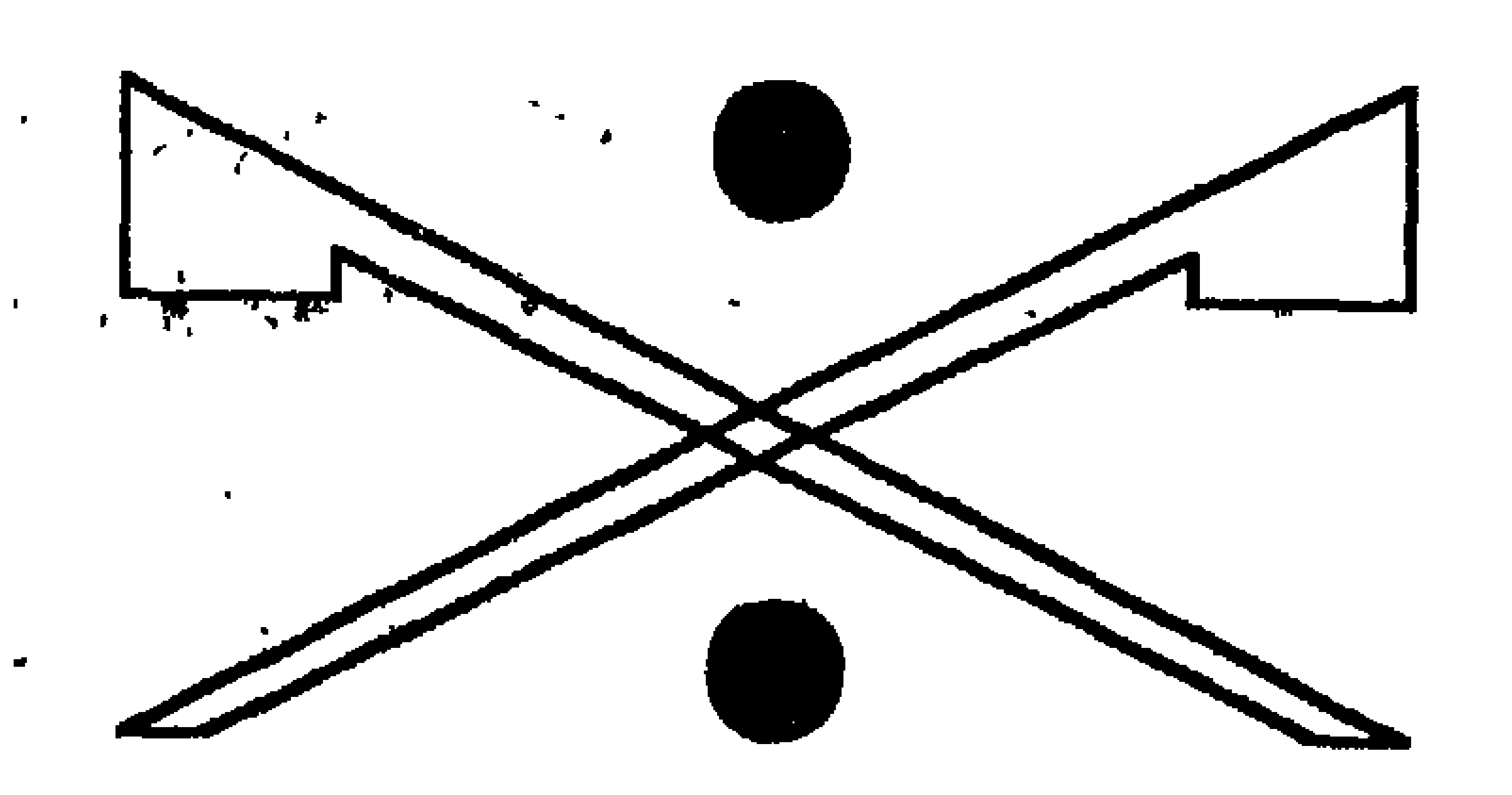
قالوا : لك علينا ذلك .. !!

*

ثم إن شهر زاد قالت : وهكذا ينتهى اللوح الثالث من ألواح المحبوب بيكى .. وكما قال فى بوحه ، أقول : الحمد لله قديم الإحسان ..

فقال شهريار : إلىّ باللوح الرابع ..

غير أن نور الفجر ظهر ولاح فسكتت شهر زاد عن الكلام المباح. ..!!



الليلة التاسعة بعد الألف الأولى:

وقالت شهر زاد للملك شهريار

بلغنى أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد أن المحبوب بيكى قال فى اللوح الرابع :

" أنا بيكى ، وهذه ألواحى ...

أنا بيكى ، أقول لكم، إن الأصحاب والخلان أجتمعوا إلى وإلى قزم بلاد الأرواح .. وكان البحر غافيا، ولمجوم السماء مضيئة ،والجبل فى ظهورنا ، والرمال تحت أقدامنا .. وأما الذين عرفوا الخبر من أهل المرفأ ، فقد قالوا لبعضهم : صابر الذى أخوه فاكر مع خلانهم يبنون

سفينة لأشواق قلوبهم .. هيا بنا نساعدهم ونروح عن النفس بالفرجه ..

وعند شاطئ البحر المالح جاءوا ومع كل منهم أدواته .. وجاء من بيت الحياة شيخ عجوز ، كان يهز رأسه راضيا ، كلما شاهد الحماس والتفانى فى العمل ، وغنى المغنى تلك الأغنية العتيقة التى مطلعها : " أفعل ما يرشدك إليه قلبك .. ولتكن كلماتك بردا وسلاما .. من أجل نفسك .. !! "

أما أنا فكنت المهندس ، والنجار ، والقبطان .. فأرشدتهم إلي ما أريدمنهم عمله ، وأنصتوا إلى كلامى ، وعملوا كما تكلمت ..

عملنا صباح مساء .. وكان قزم بلاد الأرواح ، يلعب ألعاب العيال خلال العمل ، فضحكوا ، وكانت ألعابه سلوى ، ومصدر عزاء ، فى المكابده .. وتوالت علينا أيام ، صباحها مشرق ، وأماسيها مضيئة .. وحلمت ، مثلما حلم كل واحد منهم ، بزمان يواتى لبذر وزرع مثمر .. ورأيت أن المواسم تهلُّ أهلّتُها .. ورأيتنى أجنى الثمار .. وكانت الليالى فواحه ، وهواؤها معطر بعطور الأرض الخصيبه ...

*

أخيراً ، استوت الألواح سفينة ، .. وصارت الكلمة عملا ، ولما

رأيتها قلت " ها قد جاء وقتى .. !! " .. فنهضت أمامهم .. وحملت قزم بلاد الأرواح .. وضعته على كتفى فصارت رأسه تعلو رأسى .. وقلت لهم :

ـ " يا أيها الخلان والأصحاب .. أنتم من أحبت نفسى .. هاهى سفينة لأشواقنا ورفقة الأشواق ، تستوجب الشفافية ، لتمكن المكاشفة .. ألم تجربونى دهرا ، وعرفتم من أكون ؟! .

قالوا لى : أنت صابر .. وهذا أخوك فاكر .. لم نعرف عنكما إلا كل خير .. !!

قلت : فهل أتغير فى عيونكم إذا تغير أسمى واسم أخى هذا ؟! .

قالوا : نحن معك .. كائنا من كنت .. !!

قلت : ألا فاعلموا أنى ذلك الذى تريدون رؤيته ... أنا بيكى الذى أحبته نفوسكم .. !! وفاكر أخى هذا ليس إلا قزماً من بلاد الأرواح ..

وفى نفس اللحظة فك قزم بلاد الأرواح ذراعيه من حول عنقى ..

وأصدر أصواتا ، مثل تلك التى أصدرها ليلة غرق الوزير نطاط فى المصرف ، ثم نسل نازلا إلى الأرض .. وأطلق أصواتا ناحية البحر .. وفي الأعالى ..

*

إنى رأيت فى الأصوات دعوة .. ورأيت أصحابى وخلانى الذين عاهدونى عهد الصفاء يتفرقون .. فمنهم من أشرق ببهاء ونهض مقبلاً على بالفرح .. ومنهم من خرج من جسمه الواحد جسم ثان وثالث ورابع .. تواجهت الأجسام الأربعة الصادرة عن جسد واحد وتناوشت فى رقصة عنيفة متسارعة الحركات والإيقاع وكانت تتفاوت فى بريقها .. وكان الألق ينتقل من واحد إلى آخر ..

إنى سمعت كلام كل جسم منها وفهمت ألسنتها .. وملت إلى كل منها وكان كل منها لا يختلف عن الآخر ملامحه وإن تغيرت ألوانها .. بين أخضر وأحمر وأزرق وذهبى ..

أصوات قزم بلاد الأرواح نايات ومزامير وذفوف ومزاهر ومصلصلات .. ايقاع الدفوف والمزاهر يعلو .. الأنفاس تنتظم .. الخطوات تتوحد .. الأجساد المنقسمة المتناوشة الملتاثة تتقارب من

بعضها .. تتداخل .. تشف ألوانها الأربعة .. تتلاشى بعضها .. ويبقى لون واحد بهي .. ويعود المتعدد واحداً ، والمنقسم على نفسه يصير واحدا ..

وأقبلوا على وصرنا جماعة واحدة .. وعرفت كلا منهم ، وعرفت مكانه في معارج الأشواق ..

*

وقالوا : أنت بيكى المحبوب من قلوبنا ونحن أول من شافك .. فهل كان بناء السفين إختباراً لنا ؟ !

قلت : بل هو السفر ..

قالوا : نحن معك .. فتخير أقربنا إلي نفسك ليكونوا بحارة سفينك ..

قلت : نعم .. أفعل ذلك .. لكن اختيارى لن يكون لمن هو أقرب إلى نفسى ، فكلكم خلانى وأحبابى .. بل إنى لن أختار بنفسى ، وسأترك قزم بلاد الأرواح يختار من بينكم بحارة للسفين والسفر ..

قالوا : وأنت ريس علينا .. !!

قلت : لكم ما شئتم .. !!

كانت النجوم لامعة .. تتناءى فى سماء مصقولة .. وكان الصمت صمتاً أصلياً .. ونحن قد أجتمعنا فى ظل السفينة ، المستوية على دعاماتها ، وعينها على البحر .. وكان البحر عينه عليها ..

بخفة ، كان قزم بلاد الأرواح ، يلمس الرجل لمسة الاختيار ، فينهض الواحد منا مهرولا إلي تكليفة .. واحد بعد واحد .. وكل منا يعرف مكانه .. حتى أتم الخمسين عددا .. ثم وضع يده على فنهضت .. ومن بقى من الرجال نظروا إلينا بعين وجيعه ، ثم انخرطوا فى بكاء بدموع غزيرة ، وابتلت لحاهم ، وقطرت على الشاطئ الرملى ، فشربها وعادت إلى البحر ..

وقلت لهم جميعاً : يا أحبابى وخلانى .. لقد صنعتم سفينة لأشواقنا فاعطوها اسما تحبونه ..

قالوا فى صوت واحد : نسميها " ألواح صابر وفاكر .. !! " فغاية ثورة المؤمن أن تتجلى عليه ذاته .

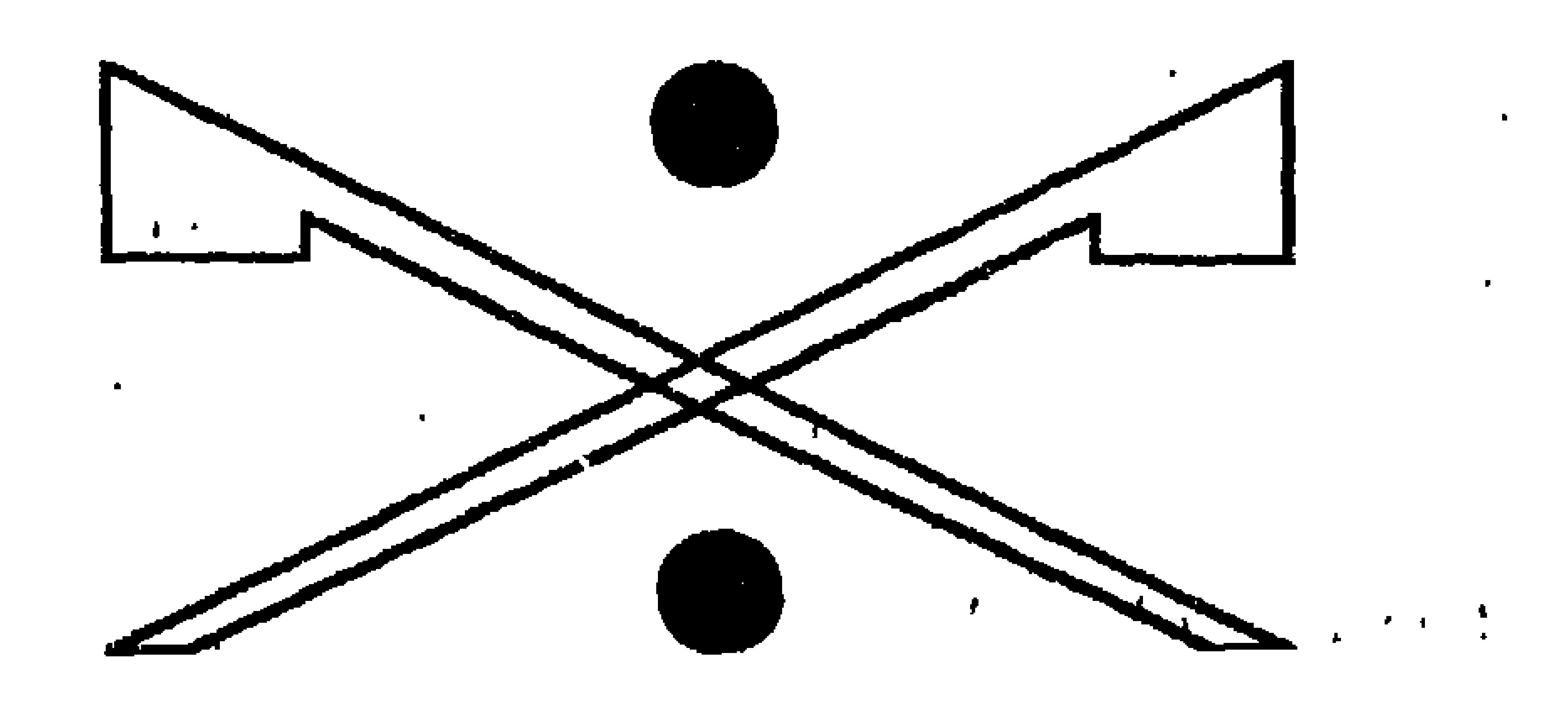
*

سجلنا اسمها فى مرفأ الطوالع .. وتلقينا التهانى وأنزلناها إلى الماء . وسط طبول وزمور وتهاليل وأغانٍ ، وحضر لحظة التدشين الشيخ الذى من بيت الحياة فى مرفأ الطوالع ، وكان معه شيوخ آخرون ، وكان الجميع فى رضا وسرور ، وبشر وحبور ..

ثم رتبنا الزاد والمؤونه .. وحددنا ساعة الاقلاع بعد يومين .. وفيما أنا منخرط في الترتيبات والخدمه جاءنى رسول غامض ..

*

وهنا ظهر نور الفجر ولاح .. فسكتت شهر زاد عن الكلام المباح ...!!



الليلة العاشرة بعد الألف الأولى

وقالت شهر زاد

أيها الملك السعيد ، ذو الرأى الرشيد أن المحبوب بيكى أكمل كلامه فى اللوح الرابع قائلا :

" أستقبلت الرسول الغامض فطلب أن نكون وحدنا حتى لا يسمع أحد كلامه .. وهذا ما قاله لى :

- إنى جئت من الأحراش الشماليـه ، حيث زوجتك وأبنك " الريح " وبنتك ؛ وداع " ,وأمارتى إليك هذه الأشياء من ملابسهما وهما صغيران . وسر لا يعرفه غيركما أنت وحبيبه يتعلق بالمرأة الغريبة التى

عرفت رائحتها فيك ليلة غادرت دار السلام ..

تقول لك حبيبه ، إن الأخبار انتشرت بظهورك ، وجيوش كثيرة تتجمع من كل الجهات فى سرية وحذر ، فحاذر ، وسارع ، وغادر مرفأ الطوالع ، إلى مكان أمين ، ولا تتصل ، بها فهى التى ستسعى إلى الاتصال بك .

تقول لك حبيبه : " الريح " شب ، وصار قويا ، وقائداً من قوادك . "ووداع" الآن فتاة جميله ، ومحبوبة من الناس ، لأن وجهها فيه السر ينبض ، فيراه كل من تقع عيناه عليها .

تقول لك : الملك "شيط" يتعرض للفتك به ، والمؤامرات في القصر تزيد .. والتحقيقات لا تصل إلى نتائج حاسمه .. والوزير أقسم أنه لن يمس جسده ماءً ، حتى يضع يده عليك ، ويرفعك على صليب ، ويعرضك فى أنحاء البلاد ، ليرى الناس فى البر كله، مصير محبوبهم بيكي ، ولا يعودون إلى الثوره ..

تقول لك : الوزير معيظ ،منذ صار رئيسا لبيت الحياة ، قد غير المناهج القديمة ، وأدخل علوماً جديدة ، تهتم بالقوى التى صنعها ابن الانسان ، وأنه جعل متخصصين فى السلاح وفنون الحرب ، وآخرين

متخصصين فى المال نواباً فى إدارة بيت الحياة .. والعلماء الشيوخ قد تفرقوا ، بين هارب من سطوته ، وسطوة نوابه ، وغاضب من التغييرات وإدخال المناهج الجديدة ، وبعضهم يعلم الناس فى القرى والمدن خفية بتعاليم الحكمة القديمة لبيت الحياة .. فاحذر ، فليس الأمر على نحو ما كان .. !!

تقول لك : وقت طويل أنقضى ، ومازال قزم بلاد الأرواح معك .. وأنت سافرت كثيراً فكيف لم تهتد إلى بلاده ، وتعيده إليها حتى الآن ..!! صحيح أن كل شئ بأوان .. فتعرف أوانك وأمض .. فالعمر قصير والشقة بعيدة .. ونحن فى انتظارك ، على العهد ، لا نتغير بتغير الأيام ، وسبحان من له الدوام .. "

*

أنا بيكى ، أقول لكم ، إنى بكيت على ما مضى ... واعتبرت .. ومن فورى ناديت بالعجل وقلت للرجال : الساعة الساعة نمضى قبل الساعة التى اتفقنا عليها .. وشاع أمرى فى المرفأ .. ونزل من الجبل نساء ورجال وأولاد .. وغابت الشمس .. فصحت بإشارة المغادرة .. قبض المجدفون على مجاديفهم .. وكان كل واحد فى مكانه ، ورفعت المرساة ، وتحركت السفين .. فانطلقت صيحات المودعين ، وصعدت

الدعوات بالسلامة ، لوحوا بالقناديل والمشاعل ، والناس كانوا بين مشفق ومتفرج وفرحان .. وكانت ألواح صابر وفاكر سفينة أشواق للناس . وغنى واحد من الشاطئ فأقبل صوته على الماء يسعى : " يا حبى ..الغرب يبشر بالشرق .. وأنا مولود الأشواق .. اسأل أعرافك عن هربى .. أين وأين .. ؟! سأطير .. وأطوف ببحر البرق .. !! يا حبى .. هل يرحم ليلك قلبى .. وتعود بكلمات الوعد الأول للروح .. وتعود بأزهار وبذور .. كى أزرع حقلى .. ياحبى ..!! " .. ونأينا .. واتسعت مسافة البعد .. ودخلنا فى البحر .. وفى السكوت تكلمت المجاديف .. وامتلأت بطون القلوع بالهواء .. وجرت الألواح .. فسكتت المجاديف ... !!

*

تعاقبت علينا الأيام والليالى .. وانقضى على المهلة التى حددناها لعودتنا الأيام والأسابيع والشهور .. كانت السفينة طولها مائة وخمسون ذراعا وعرضها أربعون وعلى متنها واحد وخمسون رجلا ، أنا واحد منهم ، وقزم بلاد الأرواح . سافرنا فى الآفاق فأتاح هذا للرجال أن يعرفوا عن الأرض مالم يعرفوه من قبل ؛ وجعلهم يراقبون أفعال السماء .. كان فى قلوبهم بأس ، هو فى أصله ، مولود الدهاء ، أبوه

الخوف ، وأمه إحدى بنات الشوق .. وكانت هذه الأم شفيعة لأن الشوق ابن من أبناء السماء صار مشهوراً بقوة الأفعال .. وكلما تقدمنا فى رحلتنا ، زادت معرفتهم بأصل بأسهم ، وتغيروا فقل تمسكهم بالبحث عن الأسباب والنتائج ودخلوا فى التسليم بعناية الله بالعباد .. وبات فى يقين كل أن لكل شئ سببا .. فأتبع سببا .. وأن كل الأسباب بأمر من له الأمر .. !! ولهذا رأى كل من وقعت عيناه عليهم أكاليل المجالدات قد خلعها البحر عليهم ووضعها على هاماتهم .. !!

*

وجاء يوم من أيام السفر كانت فيه ريح مواتيه .. جرت السفينة فى الريح الرخاء .. وكنت فى المرقب فى أعلى الصارى .. رأيت ريحا غريبه تداخل ريح المياه التى أعبرها .. تناوشتا واقتربتا ، ثم ارتفعتا وانخفضتا . تناهى إلى أصوات طيور بحرية ، قال الذكر للأنثى : " هل تماريني على ما أرى .. إنها آتيه من خلفنا .. هذه هى نذرها فى الأعالى .. !! " قالت الأنثى : لهفى على الضفاف وما عليها .. فإنها إذا قرعت ، تذهل كل والدة عما أرضعت ، وإن وقعت تجهض الحبلى .. !! " فقال الذكر : " قو الجناح وانخفضى ، وفى خط مستقيم اندفعى ، لندرك الملجأ الأمين قبل انقضاضها .. !! .

فـأجلت البـصـر .. وطلبت قـزم بلاد الأرواح فلم أبـصـر بـه من مـكانـى .. وسـرى فـى الريح عـطر .. ثم أزدحم بالروائح .. وداخلت الأرض البـحر فى حـواسـى ... ثم أقـبل الرهبوت كابـسا من كل الجهات .. درت حـول نفـسى فـى المركب الضـيق .. خلصت نفـسى من الرمـال المتـحركة التى ألقتنى فيـها يد الدهشة .. وعـملت من الدهشة الأسئلة ... فأومـأت إلى بالنظر .. ـ بدء علتى وكل العلل ـ ونظرت ، فرأيت ، فشفت ، فصرخت :

ـ ألا إنهـا ناحيـة من البـحر لم يدخلها أحد ، يا أيهـا الخلان : إنهـا الريح العـاصف القاصف ابن الحسوم .. هو الفـاروق .. المبين الذى يفصل الخبيث عن الطيب .. قلبى على الخلان . لهفى على نفسى .. !!

وساد السكوت ...

*

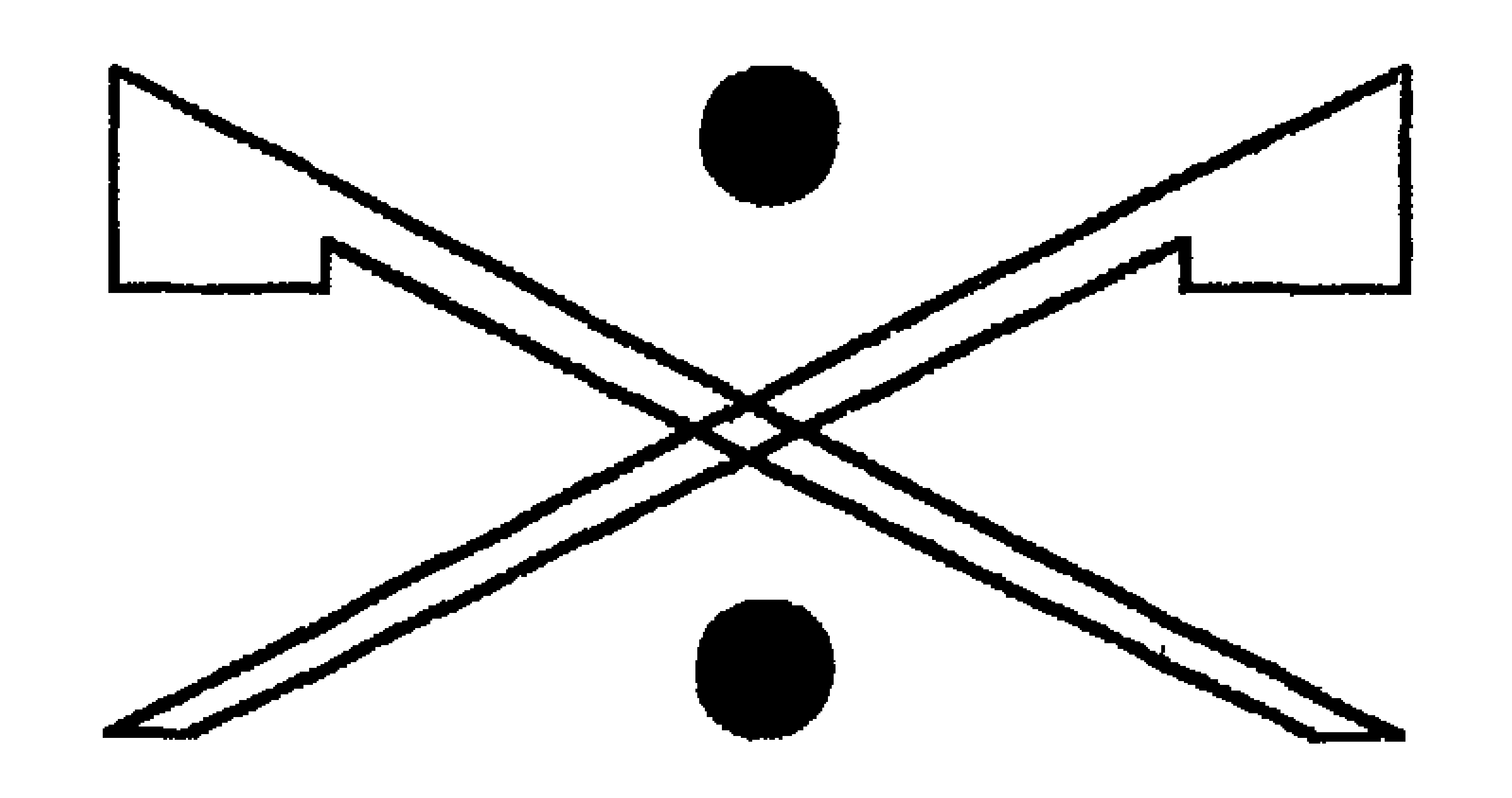
أشرت بطـى القلوع .. ركضت السـفين على قواطع الموج .. كان ذهب الشـمس يذوب فـى المـاء .. أقبل السكوت بالانتظـار .. تجمـدت حركة الرجال .. نزلت من مرقبى . كان الليل آت .. والسفين تندفع فى تيـار حـامل .. والميـاه ترسل الأبـخره .. والضـبـاب يرتفـع فـى بطء

وإصرار .. تكاثف الضباب حتى أن الرجل منا لم يكن يرى يده .. أشرت بالثبات والتثبت .. وليكن بصر كل منا حديدا .. جلست فى مكانى . أحسست بكف قزم بلاد الأرواح تداعب قدمى . أنحنيت عليه . رفعته . وضعته على قلبى . . أصدر أصواتا بطيئة عذبة عميقة القرار .تنبهت حواس الرجال .. قالوا : " أعد .. أعد .. " لكنه سكت .. وضع رأسه على كتفى ويده اليمنى على ظهرى فى موضع القلب .. قلت :

ـ يا رجال هذه المركب .. أسمعوا منى وأنصتوا .. إنى عاشرت الأصحاب ورافقت الخلان .. وصرت أكثر مما كنت عليه فى الزمان الأول .. !! هأنذا قد نسيت جميع ما كنت قاسيت من التعب والغربة والمشقة وأهوال السفر .. ، وأظن أن الوعد سيصدق كلمته مع القلب مرة تفتحُ قوس الأفق .. ليكون مع المجهول دائرة الشمس الغائبة .. !!

*

هنا أقبل نور الفجر ولاح ، فسكت شهر زاد عن الكلام المباح وكان الملك شهريار غارقا في ذهول التفكر العميق ... !!



الليلة الحادية عشرة بعد الألف الأولى :

ـــــــــــــ أقبلت شهر زاد

وقد تأخرت عن الميعاد ، فوجدت شهريار بين صفين من الكتب القديمة ، جالسا قد أنكب على كتاب ، وفوق رأسه المصباح .. وبالقرب منه سراج ناعم الضياء .. فقالت فى نفسها : " اسم الله عليك .. وحواليك رقيتك من نفسك الأمارة .. ومن عينك الشريره .. ومن شرور ما خلق .. ومن شر غاسق إذا وقب .. !! " .. وظلت واقفه من حيث تراه .. تكتم الحس والنفس ، وتراقب أفعال كلمات الكتاب الذى يقرؤه وما تخلفه من ظلال وأنوار على صفحة جبينه .. حتى إذا رفع وجهه هتف باسمها وقال : اعذرينى فإن لى دهرا لم أجالس الكتب .. !! "

قالت : " أعباء الإنسان وما ملك .. !! " قال : " يا شهر زاد .. إنى قد فتحت عينى ورأيت بـروق الصـواب .. فزيدينى ولا تبطئى فى الزاد .. !! " .

قالت : حباً وكرامه .. !! .

ثم إنها اتخذت مجلسها بالقرب من مجلس شهريار وقالت : بلغنى أيها الملك السعيد ، ذو الرأى الرشيد أن المحبوب بيكى قد ختم اللوح الرابع قائلا : " الحمد لله قديم الإحسـان " ،.. " فله الحمد والمنه .. وأدعو الله أن يكتبنا فى الشاكرين لنعمائه إن لم يقدر لنا أن نكون من الصابرين على ابتلائه .

سألها شهريار : ولماذا يا شهر زاد .. ؟

قالت : لأننا الملوك .. ولا ملك إلا الله ..

فهز رأسه شهريار اعتباراً .. فقالت شهر زاد : أما بعد فقد كتب المحبوب فى لوحه الخامس قائلا :

" أنا بيكى .. وهذه ألواحى .. وإنى أقول لكم إن الرجال فى ساعة العماء والعشى بضباب تلك الناحية من البحر قد سكن كل منهم إلى نفسه وأنصت إلى صوت قلبه وهو يرمق السماء العاليه ويصافح البحر .. ويسيح فى الليل لترف على أوتاره المباحة أنامل الاعتبار .. وأنصتوا جميعهم ..

أنصتوا .. فإذا بالسكون الأصلى يفتح النوافذ والبوابات المخفية عن العيون ، وأنصتوا فإذا بصفير طويل يشق جنبات العماء ويفتق الضباب من أمام ومن خلف .. وإذا بالصفير لا ينقطع فهتفت بهم :

ـ يار كاب السلامة .. أسرعوا .. أتركوا أسبابكم .. واعتصموا بعرفانكم . هذه ريح قارعه .. فتحت علينا ولست أعرف لها مثيلا .. !! .

وأستيقظ البحر فتمطى .. فقعد فقام فارتفع .. أبصرت عيناه السفينة . فرأى أن يجربها ويدهشها .. مد إصبعه السبابة فى قفازه الموجى ولا مسها فطارت فى الجهات ودارت حول نفسها .. زقزق قزم بلاد الأرواح بضحكة نشوانة أخذت الألباب .. وبلغت القلوب المحاجر ..

لم يلبث البحر حتى لمس الدفة بإصبعه فانكسرت .. فدارت السفينة وارتفعت فى دوامة رأسية تدور على لوالب ريح منقضة من الأعالى وريح جنت بالسموق والمعارج .. فسقطت السفينة فى قبضة البحر فاعتصرها فصرخت ألواحها صرخة المنتهى .. تفككت الدسر .. وتناثرت الألواح .. وكان ظلام .. !!

*

أفقت من سكرة البحر فإذا بى فى جزيره .. أرضها كالأرض لكنها نابضة العرق مسموعة الوجيب .. من رمال وحصى وتراب وصخر وجبل وسهل غير أنها غافية فى ألوانها المشعة الرقراقه .. هواؤها أهوية بملامس ناعمة وعطور طيبه ... أشجارها تجمع المواسم فى موسم وأقاليم الأرض فى إقليم ..

نظرت حولى . فحصت الأرض .. قمت أبحث عن خلانى .. من أتى منهم ومن ذهب .. اعتليت الأماكن . مشيت على الشاطئ .. سمعت كلاما بألسنة بعضهم .. وجدت البحر قد نثرهم على الشاطئ الرملى فى جهات منه شتى .. أفترقت عمن وجدت من الخلان لنلتمس بقيتنا ، مضى الليل والنهار .. وعند مغيب الشمس التأم شملنا .. وكان الغائب .. الوحيد هو قزم بلاد الأرواح .. وقال أحدهم : لكم

السلامة .. ها نحن جميعا لم ينقص منا غير فاكر ..

قلت لهم : هيا نبحث عنه فى كل أنحاء الجزيرة .. ولنلتمسه فى كل فج وشق .. بحثت عنه وبحثوا .. وظن كل منا أنه رآه فى المكان الذى ذهب للبحث فيه .. وتبادلنا نظرات الحيره .. !!

*

أنا بيكى قلت لخلانى : " يا أيها الأصحاب .. نحن فى أرض غريبه لها سادتها وأخشى أن نكون قد وصلنا إلى ما أبحرنا من أجله .. !! "

نظروا إلى وتبادلوا النظرات .. قلت لهم " أحفروا حفرة كبيرة .. اجمعوا حطبا وأشعلوا لنا نارا .. وغطوا وجوهكم وناموا حولها .. !! "

ففعلوا .. ومرت الليلة بسلام ...

*

فلما كان الفسق ، سمعت أصواتا وكانت الأشجار تتهامس وفيها كائنات تتحرك .. ومع الفلق ، رفرقت أجنحة وأنتفضت طيور .. ولدى الضوء ، رأيت ديكة خضراء كثيره على قمم الأشجار .. صاحت معاً ، فكانت تهاليل وأفراح ، وفتح رفاقى عيونهم على الجزيرة فى

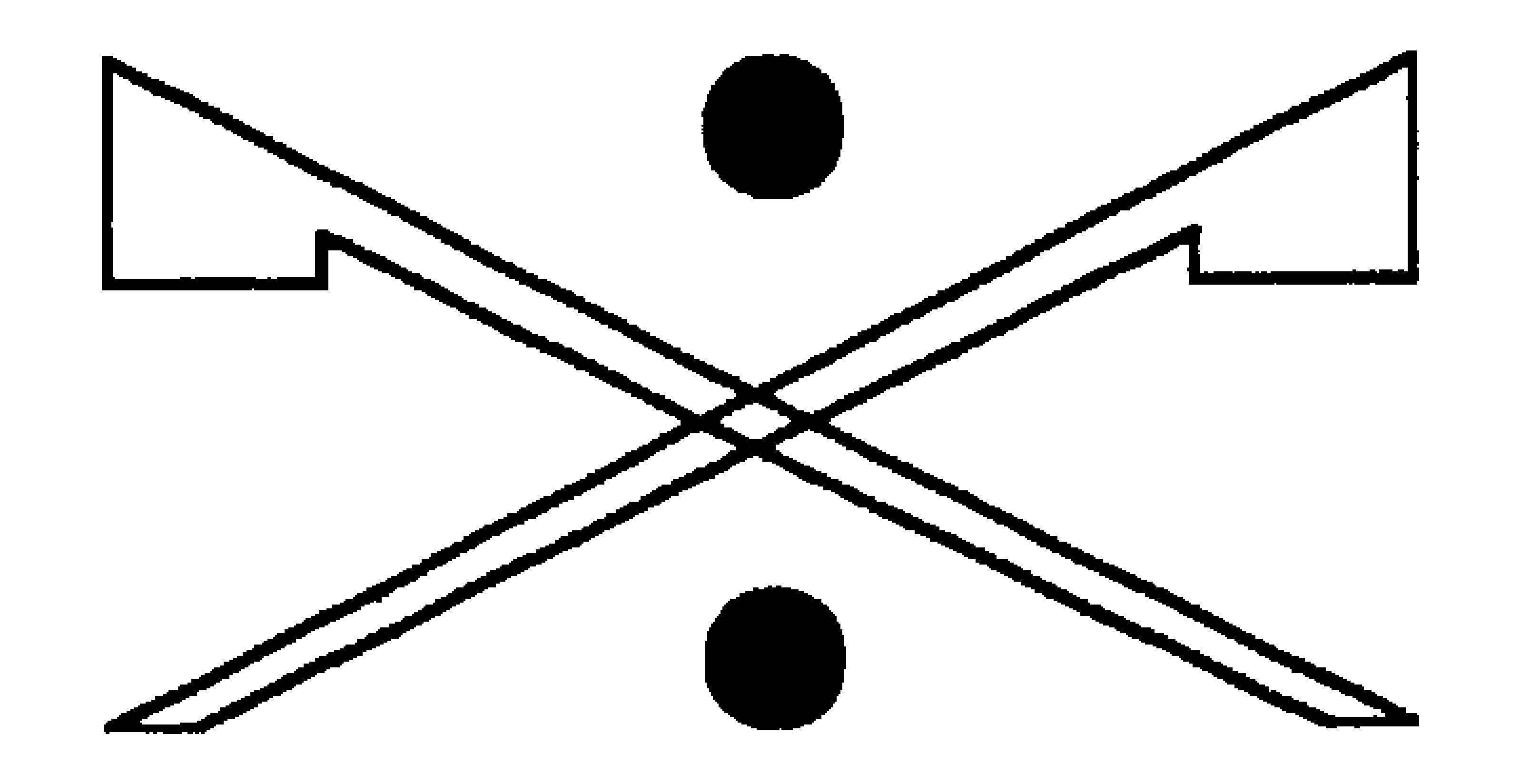
هذا الصباح الجديد ، وقد صارت بستانا للبدائع .. فقاموا .. وسجدوا لله سجدة الشكران .. ونسى كل تعبان تعبه .. وأمتلأ كل جوعان ، وكل عطشان أرتوى .. ومع انتشار النور ، عشنا فى تجليات متتالية من بدائع ، استقبلنا كلا منها بتسابيح وتهاليل .. ثم سكتت الأصوات كلها وسكتنا .. وكان الفضاء والآفاق كلها محاريب .. فسكن كل منا إلى نفسه ، وأنصت إلى صوت قلبه ..

*

ثم إن الأرض نبضت .. وعلا وجيبها .. ثم إنها ارتجفت براجفة .. تلتها راجفه .. ثم توالت عليها الرواجف .. وإذا بقصف رعود ، تأتى من التنائى وتقترب .. واهتزت الأرض فى رجفة متصلة .. وما أن أشرقت الأرض بنور ربها ، حتى لمعت أهوية الجزيرة بألوان الذهب واللازورد فى الشرق ، وفجأة ، رأيناه ، فارتفعت الأيدى تشير، وكان الذهول شاملاً .. !!

*

وهذا ظهر نور الفجر ولاح .. فسكتت شهر زاد عن الكلام المباح ...!!



الليلة الثانية عشر بعد الألف الأولى :

ــــــــــــــــــ وفى هذه الليلة دخلت شهر زاد

بخفة العصفور ، فرأت شهر يار ، ذاهل الفكر ، حائرا ، ينظر تارة فى كتاب مفتوح أمامه .. وتارة أخرى يضع كفه على جبهته مفكراً .. ورأسه مكشوف .. وقميصه مفتوح .. وكان مبعثر الهندام .. فقالت لنفسها : اشتغلت الألواح .. فهل تستدعى ماراح .. ؟! " !!

ثم اقتربت من شهريار ، ونظرت إليه ، فنظر إليها كأنه لا يراها .. فقالت :

" مولاى " قالتها بصوت بطئ المخارج .. ثقيل عميق ممتلئ .. فنظر .. !! .

وعاد إلى نفسه فثاب إليها وقال : " إنى أطارد الكلمات لأجمع ملامح الأسئلة .. !! " قالت : هون عليك ، ولا تكن مشغول البال ، سيأتى السؤال تلو السؤال ، حين تنشط الأهويه .. !! "

قال : " ومتى يكون الميعاد يا شهر زاد .. ؟ " قالت : أصبر .. وصابر واصطبر .. وثبت القلب إذا الليل اعتكر .. !! " قال : من لى بصبر أيوب ..؟ " قالت : " أيوب كان من البشر ..!! " .

وصمتا موهنا من الليل .. وكان كل منهما له اعتبار ونظر .. ثم قالت شهر زاد : " مولاى شهريار هل جاء وقت لبيكى ؟

قال شهر يار : قلبى يا شهر زاد آماق البصر على أسنان الإبر ..

قالت : هون عليك .. والدين يسر " ولن يشاد أحد هذا الدين إلا غلبه " بشر ولاتنفر .. ولنا فى رسول الله أسوة حسنة قال شهريار : عليه الصلاة والسلام .

قالت : زده صلاة وصلاة وصلاه ..

قال شهريار : اللهم صل عليه وسلم تسليما كثيراً .. ملء السماوات والأرض .. وملء ما شئت من شئ ياذا الجلال والإكرام .. !!

قالت شهر زاد : أما بعد ، فقد بلغنى ، أيها الملك السعيد ، ذو الرأى الرشيد ، أن المحبوب بيكى أكمل اللوح الخامس قائلا :

" وإذا هو ثعبان هائل يتقدم نحونا .. تتدلى من فكه لحية ذهبية عظيمة ومن مفرق الشعر حتى الأرض خصلات فضية .. وجلده لا زورد يشع أنوارا . فانطرح الخلان على وجوههم ، وأرتجفت أعضاؤهم .. فإذا به يفتح فمه ويقول : " إيه أيها الصغار .. !! من ذا الذى أتى بكم إلى هذه الجزيرة التى تغوص شواطئها فى الأمواج .. ؟! .

*

فتقدمت إليه وقلت : " نحن إخوان على الصفاء ، وخلان على الوفاء .. أردنا السفر ، وكنا نريد إرجاع قزم من أقزام بلاد الأرواح .. كان عندنا فى برّ مصر ، وكان دائم الحنين والبكاء .. وسافرنا لنرى الآفاق : المعلوم منها والمحجوب .. وكل ما تتطلع إليه نفوسنا ، هو أن نعود إلى الذين خلفنا ، بأخبار الأرض التى خطونا عليها ، وبكلمات سادتها .. !! .. هبت علينا أهوية عظيمة ، قرعت ألواحنا ، وأنزلت بنا ما ترى .. وغرقت الألواح .. وألقانا البحر إليك فافعل معنا ما هو عادل وجميل .. " قال الثعبان : " لا تخافوا ... لا تخافوا أيها الصغار ولا تدعوا الحزن ينتشر على وجوهكم .. " لقد وصلتم إلىّ بطهر

المقاصد .. ولأنه لابد أن يصل أحد إلى هذه الجزيرة .. !! إنى أحب أن أنصت اليكم فاختاروا من بينكم من يقدر على الكلام معى .. " .

سكت الأصحاب فسألت : هل أصلح أنا لذلك ؟!

فضحك ضحكة الوقار .. وتبسم تبسم الإجلال ثم زحف نحونا وهو يقول : " لا تراعوا .. إنى أصنع مجلساً لا ستماعى " فتتبعته عيون الخلان وهو يتقدم وئيداً حتى جعل من جسده دائرة صرنا كلنا بداخلها .. وكان رأسه فى مواجهتى .. ثم إنه قال لى : " أذكر زمانك ومكانك .. وتكلم بلغة الحديث التى يقولها ملاكك .. !! " قلت حبّاً وكرامة .. !!

*

ثم قلت : يحكون فى بر مصر حكاية تقول : إن واحد من الناس قد ذهب إلى حكيم الزمان وسأله .. إيه هيه علامات الساعة ؟ ! .

حكيم الزمان قال له : بص وراك .. هتلاقى طريق امشى فيه ، واللى تشوفه يبقى هو ده .. واللى ما تفهموش تعالى قول لى عليه وأنا أفسره لك ..

الانسان ده التفت وراه .. لقى طريق عليه صفين شجر .. ومن كل ناحية ترعه .. !! فضل ما شى لغاية مالقى زحمه .. قرب عليها .. لقى واحد سادد الطريق بعرق خشب .. والناس عاوزه تعدي . مش عارفه . وعمالين يشتموا بعض ويزعقوا ، وكل واحد بيزغد اللى جنبه .. لكن ما حدش بيتكلم مع الراجل اللى سادد السكة .. !!!

الانسان ده اتأمل فى المشكلة .. وقرب على الراجل . وقال له : ما تعدل العرق ده خللى الناس تمشى والمشكلة تخلص ..

الراجل رد عليه بوقاحه قال له : وأنت مالك .. !!

الانسان ده عمره ما سمع الكلمة دى قبل كده ، قال تبقى دى من علامات الساعة .. وسابهم فى حالهم ومشى ..

فضل ماشى لغاية مالقى زيرين : واحد مزخرف ومحطوط على حماله حديد وعليه غطا من فضه وكوز من دهب .. فتحه عشان يشرب .. لقاه مليان عفن .. !! راح على الزير التانى .. كان نصه مدفون فى الأرض ومتغطى بشأفه .. وعليه كوز من صفيح . فتحه .. لقى فيه ميه .. شرب منها .. لقاها زى العسل ..

اعتبر دى من علامات الساعة .. وسابها ومشى ..

فضل ماشى لغاية ما لقى واحد بيطبخ على تلات كوانين ؛ الوسطانى والع وعليه حله صغيرة فيها مايه بتغلى .. والطرفانيين مطفيين وعلى كل واحد حله كبيرة فيها لحمه .. وكان فيه ناس كتير ما سكين بطنهم من الجوع ومستنيين الأكل .. وما فيش أكل ..

الراجل كان بيشيل اللحمه من حله كبيره ويحطها فى الحلة الكبيرة التانيه ، ويستنى إنها تستوى .. طبعا ما تستويش .. يرجع يشيلها من هنا ويحطها هناك .. برضه ما تستويش .. وما حطش حاجه فى الحلة الصغيرة اللى بتغلى ولا مره ..

الانسان ده ، اعتبردى كمان من علامات الساعه .. وسابهم ومشى فضل ما شى .. لغاية ما لقى تل وعليه مهره وبنتها .. المهره بترضع فى بنتها .. والمهره كانت غلبانــه وبنتها ما شاء الله جامدة قوى ..

فاعتبر دى كما ن من علامات الساعة ... ورجع لحكيم الزمان . حكيم الزمان م سأله : شفت إيه ؟!

* وصف له المنظر الأولانى بتاع الزحمه والراجل اللى سادد الطريق ..حكيم الزمان قال له :

الناس بتيجي على المظلوم وتسيب الظالم

والابن يكوع قدام أبوه وتتوه المعالـــــم

* وصف له المنظر التانى بتاع الزيرين ، حكيم الزمان قال له

تنتـــزع الرحمـــه مـــن قلـــب الكبيـر

وتنحـــط فـــى قلـــــب الفقـــير ...

* وصف له المنظر التالت بتاع الراجل اللى بيطبخ لحمه ،حكيم الزمان قال له :

الأغنيـــــا يـــــودوا بعضيهـــم

والفقـــير يتـــوه فـــى وسطيهـــم

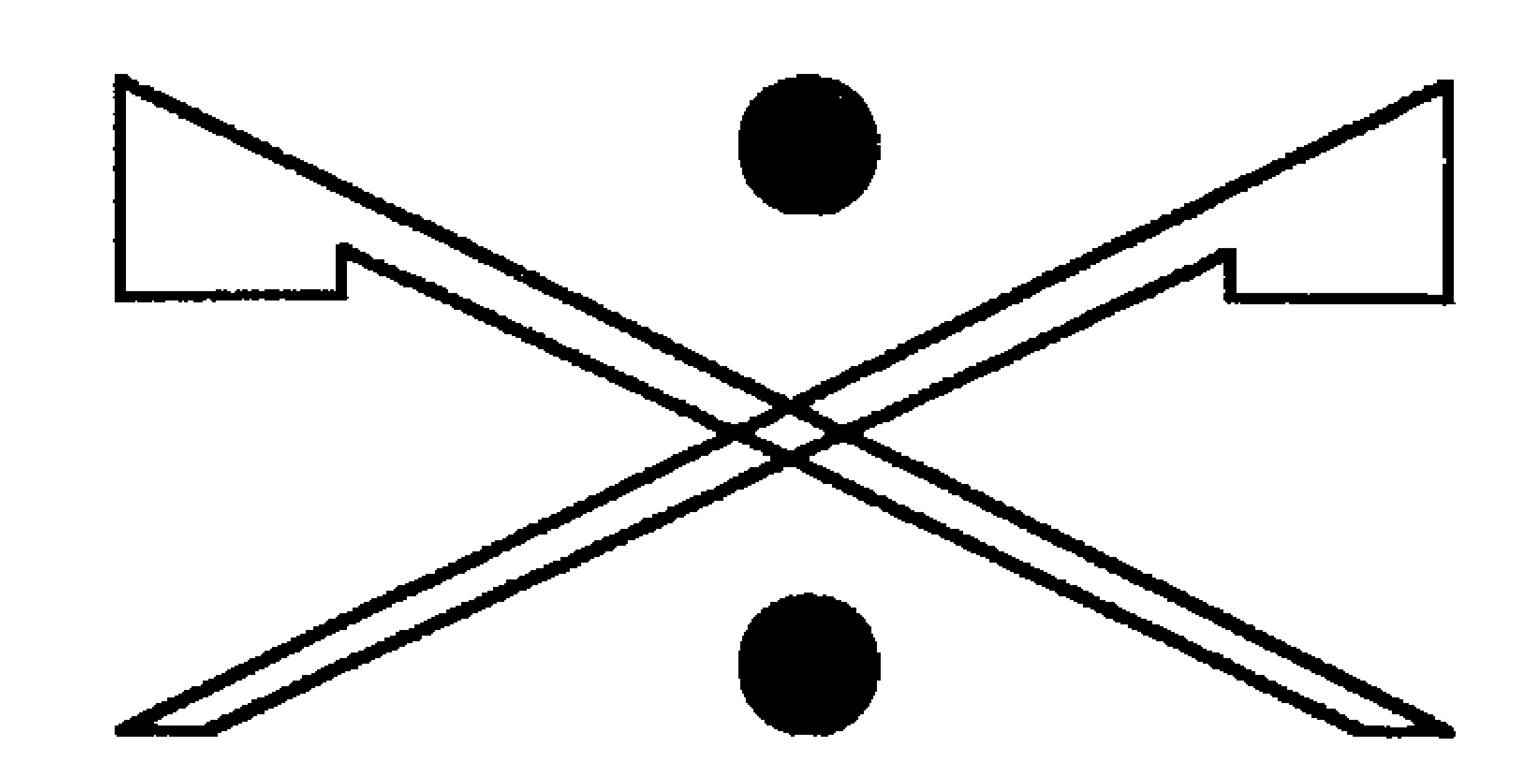
* وصف له المنظر الرابع بتاع المهره التعبانه اللى بترضع بنتهاحكيم الزمان قال له:

تعلـــو المساكـــن وتسكنهـــا النســـاء .

والآباء يبقـــوا عبيـــد الأبنـــاء (١)

*

وهنا ظهر نور الفجر ولاح .. فسكتت شهر زاد عن الكلام المباح ... !!



الليلة الثالثة عشرة بعد الألف الأولى :

وقالت شهر زاد لشهر يار

أيها الملك السعيد ، ذو الرأى الرشيد ، بلغنى أن بيكى قال فى اللوح الخامس : " إن الثعبان العظيم سيد الجزيرة أبتسم وقال : فهل لك فى جائزة أيها الصغير .. ؟ . قلت : جائزتى أن أكون قد وفيت بالمطلوب وأشبعت الطالب .. !! " قال الثعبان : " بل إن جائزتك من المرأة التى سقطت على الجزيرة فى نجمة من السماء هاوية ..

ولو وجدت نعمة عندها وكانت حسنة في عينيـك فهي حلال عليك .. "

*

أنا بيكى ، أقول ، إنى قفزت بين فكيه ودخلت فمه .. ولابد أنى قضيت شهرا أو نحو ذلك قبل خروجى .. ولست أدرى شيئا عما حدث ،لقد رأيت خلان الوفاء ، فيما رأيت ، عند دخولى فهتفت بهم : " هل أنتم على العهد القديم مقيمون ؟! "

قالوا : " نعم " .. وقالوا : " كل نفس بما كسبت رهينه .. وكلٌ منا عليه أن يعرف تكليفه !! " .

خلفتهم ورائى ودخلت . التقيت بناسٍ لم يسبق لى أن رأيتهم من قبل .. سألتهم : من أنتم .. ؟! " لم يجيبوا سؤالى وتبسموا عن أسنان بيضاء كاللبن الحليب . وكانت أنفاسهم معطره .. وخلفونى وراءهم ودخلوا أمكنة لا أبواب لها ولا نوافذ .. واختفوا عن عينى ..

مشيت ، فرأيت أمامى نارا مشتعلة الأوار .. أقتربت منها ، حثيثا ، على الرغم منى .. كانت تزداد لهيبا .وكانت تمور .. أقتربت حتى سمعت هسيسها .. كانت تحرق وقودها .. تحطمه .. فى زئير

وأقتدار .. وكانت عظيمة السلطان على ما حولها من أشياء .. وفى دائرتها المغلقة أنفتح طريق لى .. دعانى إليه صوت يقول : أقبل وتعال إلىّ .. أخلع عنك أردية التردد .. أترك أثوابك التى صنعتها أعمالك .. !! تقدم .. !! " .. لم يكن أمامى إلا التقدم إلي أمام أو الرجوع من حيث أتيت .. تقدمت فى الطريق خطوة بعد خطوه .. خيل إلى أنى أسمع موسيقى علويه .. لم يسبق لى أن سمعت مثلها من قبل ... وجاء نور .. ورأيت فى النور فتحا مبيناً لرمحٍ عظيم ينطلق عاليا صاعدا بغير توقف .. بغير توقف .. حتى صار طيفاً .. ورأيت البحر ، ثم رأيت الصحارى ، وجاءت الجبال إلىّ وفيها حيواناتها وطيرها .. وأقبلت علىّ المدائن والقرى وأراضٍ خضر بغير حد أو مدى .. ثم وجدت نفسى فى برية .. فى نفسى سكينة وفى جسدى كانت تردد كلماتها حين تكون وحدها آمنة من كل عين بعيدة عن كل سمع .. صوت حبيبة يأتى من أقطار الأرض يحط فى البرية قائلا :

رمحٌ أنت يا حبيبى .. رمح أنت ..

رمح أنت فى البرية مغروس السن يا حبيبى ..

حين تشرق الشمس عليك يرتعش قلبى ...

بجناح الشوق أطير... عيناى تمسحان بحر الرمال ..

وفى آفاق الرؤية أرى السؤال تلو السؤال ..

أدور حول نفسى .. أصنع الدوائر ..

عاريا .. أتحسس لحمى بكفى .. وأراك .. أراك أراك فأراك فردا .. أجثو .. في محرابك يغسلنى الصمت وتبوح الوحدة بالواجب الوحيد .. أسجد .. !! "

*

أنا بيكى هتفت بها : " أين أنت ؟ " .. جاءنى صوتها : " أنت ياحبيبى فى المنافى .. وأنت المحارب في كل العصور .. واقف أنت تشهد .. وأنت البشارة والنذير .. " هتفت بها : " طلى على .. أرينى وجهك .. !! " قالت : " يا حبيبى .. أنصت .. ياحبيبى

الموسيقى تصدح .. وفى عروقها تذوب أعضائى .. أكونها .. فأكون نفسى ..

أعرف الحب .. وأعرف السلام المستحيل .. وأكاد .. أكاد أعرفك ..

أهفـــــو..

فتقف الشمـــس الـــدواره تغـــرس حـــولك ســـوراً من نصـــال .

يخطـف بصرى وهج النار .. !! .

وحين أبصر لا أرى إلاه ..

أجثـو ... !!"

*

هتفت بها : " من يا حبيبه .. ؟ .. "

قالت : " سكتت كل الأصوات وبقى الصوت ..

سكتت كل الأصوات ونسخ الموت ..

لكن الطلسم يبقى نفس الطلسم ..

مفتاح كنوز الأجداد .. الأعظم ..

. هتفت .. توسلت إليها : قولى عن سرك شيئا .. !! "

قالت : إن كان الصبح يكون جلاله . فيكون جماله .. !!

أو جاء الليل يكون كماله !! فيكون جماله .. !!

*

فى صوتها كان نور يشرق من داخله .. ولما خشعت حتى المنتهى قفزت من النار امرأة قالت لى : يا بيكى ... لقد وجدت نعمة فى عينى .. !! أنا من جئت إلى هذه الجزيرة فى نجمة من السماء .. وأنا رفيقتك فى الرحلة فماذا تقول ؟ ..

قلت : إنى زهدت المال ، والأبناء نأتى بهم للدنيا .. ولم يعد لى وطرٌ فى المرأة ..

قالت : يا أيها الصغير أنا لست امرأة .. أنا كل النساء فى واحده .. خذنى معك أكون لك سلاحا يغلب الموت ويبطل السحر ويطرد الأرصاد .

قلت : وماذا يكون لك منى ..

قالت : أن أكون الملجأ الأخير لك فى ساعة الامتحان والمحنة . فإن أسكنتك فى مسكن السكينة يكون برهانى وكرامتى .. !!

قلت : وهو كذلك .. !!

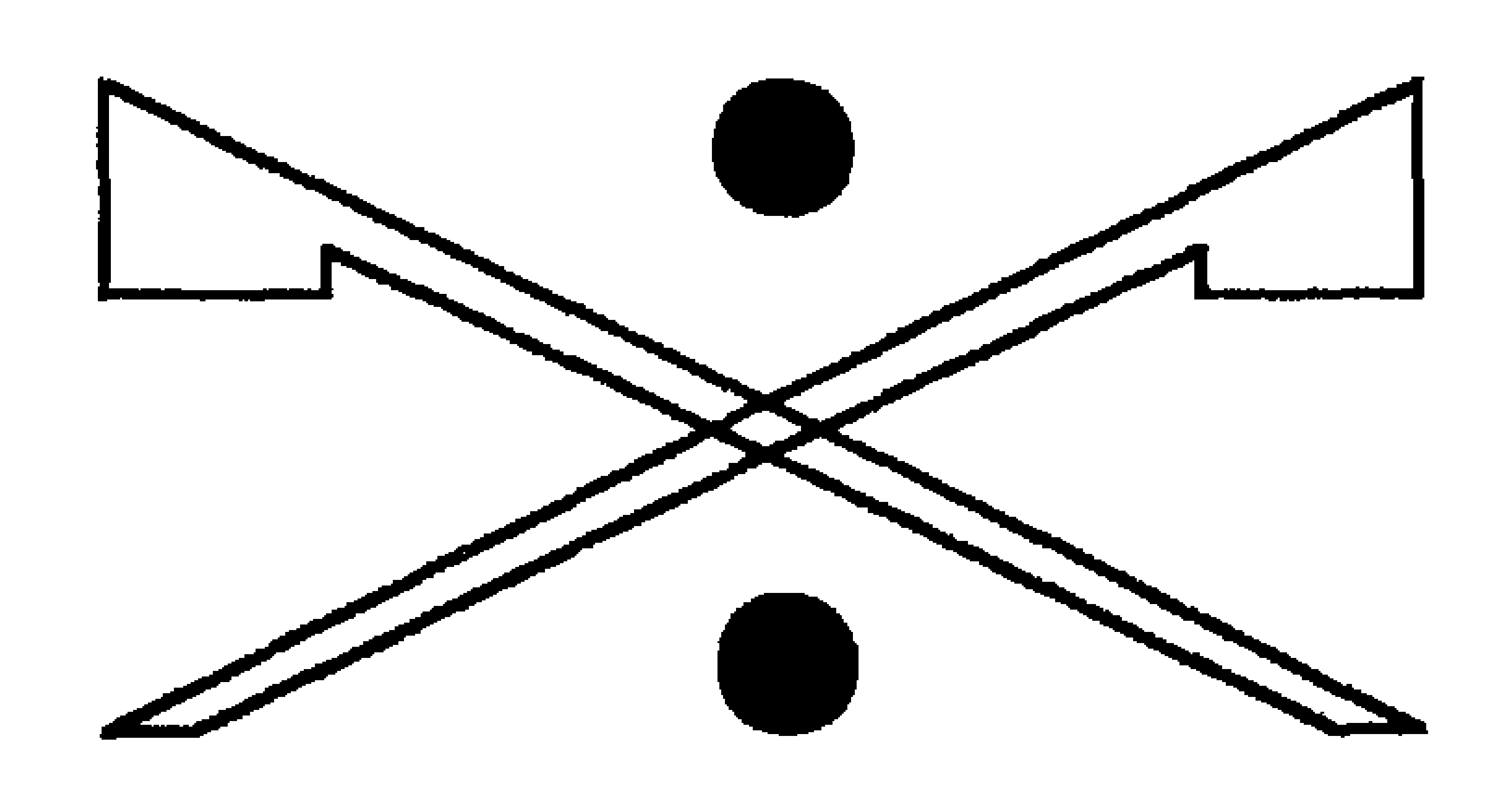
قالت : حلال عليك .. !!

ثم إنها قفزت فدخلت فمى وأتخذت سبيلها ، ففتحتْ حجرة قلبى ، وأدخلت أنوارا وأهويه .. فوجدت طريقى للعودة ممهدا وعلى جانبيه زهور وورود وجداول رقراقه ..

*

هنا هتف شهريار متأوها : آه .. آه يا شهر زاد .. !!

وحين همت شهر زاد بالاجابة ظهر نور الفجر ولاح فسكتت هى عن الكلام المباح ... !!



الليلة الرابعة عشرة بعد الألف الأولى :

ـــــــــــــ وأقبلت شهر زاد على المجلس

وهى تفكر ، فيما رأته من تغير حال شهريار ، منذ استأنفت حكاياتها له ، وحتى نهار اليـوم .. وتساءلت عما يكون من أمره معها ، فهى على كل حال ليست أبنة عمه كما هو الشأن فى حال حبيبه وبيكى .. والسيف الذى علقه شهريار فوق رقبتها ليلة بعد ليلة .. مربوطا بخيط من الرضا وخيط من الغضب .. ما زالت ترى ظله يتأرجح بهذا الخيط وذلك الخيط جيئة وذهابا .. !! " .

وفيما هى تفكر هذه الأفكار .. وتقلب الأمر على وجوهه فتهتدى وتحتار .. وتعزم العزم لتختار .. وقعت عينها فى عين شهريار فقالت له :

" أيحب مولاى أستكمال ما وقع لبيكى أم أن عنده الليلة أمر آخر .. ؟! " .

قال شهريار : لا يا شهر زاد .. ليس عندى أمر يهمنى مثل أمر بيكى وماوقع له ، . فهو معراجى فى عمل أسئلة لنفسى لأتعلم ..

قالت شهر زاد وقد عقدت عزمها .. ورأت رأيها : " بلغنى ، أيها الملك السعيد ، ذو الرأى الرشيد ، أن " المحبوب " قد أنهى بهذا لوحه الخامس بفضل عون علام الغيوب .. فحمد الله قديم الاحسان وبدأ اللوح السادس بقوله : " أنا بيكى وهذه ألواحى ..

خرجت من بين فكى الثعبان وقد سوتنى تجربه الدخول وتجربه الخروج خلقاً آخر .. فقد استرسلت لحيتى ، وأبيض شعرى ، ولوحت شمس الجوى بشرتى ، فصارت فى لون النحاس الأحمر .. وفعلت فى النفس أمورا لا تعد ولاتحصى ..

خرجت وكان خروجى فى الضحى .. وجدت خلانى يترقبون عودتى ، وكل واحد منهم فى حال .. لما رأونى وأبصرت عيونهم مقدمى هللوا وكبروا .. وحمدوا وشكروا .. وقال قائلهم للثعبان :

ـ أيها السيد العظيم لهذه الجزيرة الحسناء .. إن كان لنا نصيب فى السفر إلى مصر والعودة إليك . فنعد أن نخبر بمجدك .. وسنأتى لك بزيوت مقدسة .. ونحضر معنا طيبا ودهانا .. وصناديق لذخائرك .. وبخورا لمن يريد أن يبصر بأرواحك .. سنخبر من يحبون تقديم النذور والتقدمات فيذبحون لك ثيرانا ، ويحرقون فيها القطع المختارة فى نار يكرسونها باسمك .. وسيقدمون لك تقدمة حب ،

طيورا من طيور البر والبحر ..

ولسوف نعود إليك بكنوز من مصر .. !! " .

*

بعد أن أنصت الثعبان تبسم فى جلال تبسماً جميلاً ثم إنه قال : ايه أيها الصغار .. إيه إيهٍ أيها الصغار .. إنى لأشكر لكم نية القلب الطيب .. !! .. ليس عندكم مثل ما عندى .. فعندى المرّ الكثير .. وكل بخور الأرض لا يكشف أرواحى .. إن عندى كل شئ .. ولست أريد تقدمات من لحم ودماء ودهن .. لقد أنصت إلى بيكى .. وهو واحد منكم . ورأيت زمانه ومكانه فيما حكى من علامات الساعة .. وأعلموا أن كلا منكم سيعيش هنا فى أمان .. ستقيمون شهرا وبعض شهر .. ومن خشب الصندل والأبنوس ، الموجود فى هذه الجزيرة ، ستبنون لكم سفينة لإيابكم .. وإذا كان زمان بيكى ومكانه ، هو زمانكم ومكانكم ، فإن عليكم إصر عظيم .. وكل منكم رهين .. ستعودون إلى بلادكم فافعلوا الحسن والجميل وأعملوا الطيب ، ليفك كل منكم رهانه ، بفعله وإحسانه . وليموت موتاً .. يجدده ويمنحه الشباب .. !! .

وأشار إليّ : قائلا : أتبعنى أنت أعلمك من علمى .. !!

وأشار إلى الخلان قائلا : أبنوا لكم سفينه ، فيتم لكم فرحكم ، وأيام أعيادكم .. !!

ثم إنه إسندار برأسه وفتح الدائرة التى عملها بجسده .. وأهتزت الأرض فى عودته .. وحدث مثلما حدث فى أول ظهوره ، والجديد فى الأمر أننى تبعته .. وأن الرجال قد هللوا وأنطلقوا لبناء السفينة بينما هو يقول لهم وهو يمضى :

ـ دونكم الأرض وما أثمرت .. فلتملأوا بطونكم .. واعملوا .. ولتناموا لترتاح عظامكم .. ثم تنهضوا .. وتعلموا .. وموعدنا لدى انتهاء الأعمال كلها .."

*

ومرت الأيام والليالى .. وكتب الخلان من صفحاتها ، بالساعد والفكر ،سطور الأحلام والأمانى والوعود تحت باب الانتظار .. وصنعوا السفينة لإيابهم ، طولها مائة وخمسون ذراعاً .. وعرضها أربعون .. بدفة دقيقة قوية وجلسوا معاً يفكرون فى اسم لها .. وبعد ساعة من المشاورة .. اتفقوا على أن يسموها " الجزيرة " فكتبوا اسمها عليها

بخشب الأبنوس بحروف بارزة وقالوا لبعضهم : " هذه حروف لا يمحوها تغير الشمس والرياح والأمواج عليها " .

*

ومثل ما حدث من قبل زلزلت الأرض .. ودوى الرعد .. وبرق البرق . وعند مغيب الشمس ظهر الثعبان وأمامه كنت أمشى هرولة موسعاً الطريق ، وقف الخلان ، وخلفهم السفينة ، .. ورأونى واقفا أمامهم فى نور عينيه الزمردتين ، قال لى : " قل لهم " فقلت : يا أيها الخلان .. هذه السفينة تكون لإيابنا إلى أرض مصر .. وهناك ينتظرنا الويل والثبور .. وعظائم الأمور .. لقد كتبتم عليها اسما لها .. وإنها لكذلك .. معبرة عن الحال التى عشناها وعما شهدناه من الغيوب فى عالم الشهادة .. فهل أنتم على العهد القديم مقيمون ؟ ! " .

قالوا : " نحن معك .. !! "

قلت : نحن عائدون إلى زمان كثر فيه الطعام وقل الشبع .. وكثر الحراس وقل الأمن .. وكثرت دور العلم وقلت الحكمه . زمان ما أكثر الكلام فيه وما أقل المعنى .. فما قولكم ؟! .

قالو : نحن معك ..

قلت : ألا فاعلموا أن هذه بلاد الأرواح التى منها كان قزم بلاد الأرواح الذى عرفتموه باسم " فاكر " وكان فى نظركم هو أخى حينما كان اسمى " صابر " .. ألا فاعلموا أن القزم المشتاق قد عاد إلى بلاده .. وأعلموا أنه بعد مفارقتنا هذه الجزيرة لن نراها .. لأنها ستتحول إلى أمواج حتى تكشف عنها أعمال ابن الانسان التى يعملها تحت الشمس .. !! .

ثم ساد صمت مقدس . ونزلت من حيث مقامى إ لى الخلان لأكون واحدا من آحادهم .. وحدث مثلما حدث من قبل فزلزلت الأرض وأضاءت ببرق وأرعدت برعد فى إياب الثعبان العظيم إلى أفقه الذى منه جاء .

*

وقال لى الخلان : أنت يابيكى صاحب علم من علوم هذه الجزيرة فكن معلما لنا ..

قلت : لكم على ذلك بشرط ..

قالوا : «ما الشرط .. ؟! .

قلت : أن تكون سفيننا هذه وما تحمله من اللبان والمر والطيب والأفاويه والرجال .. وأن تكون أخشابها من الصندل والأبنوس ، مكرسة كلها لبناء بيت للحياة فى مصر ، يحيى التقاليد القديمة .. وأنا واحد فيه من آحادكم .. قالوا : فماذا يكون من الأمر ونجاحنا فيه إذا كان الزمان فاسدا ، وإذا كان الفساد قد تفشى في الأمكنه .. ؟! .

قلت : على ابن الانسان أن يسعى..وليس عليه إدراك الأمانى.

قالوا : نعم .. نحن معك .. !! .

وهكذا أبحرنا .. وفيما سفيننا يشق العباب رأينا الجزيرة وهى تذوب فى الأمواج .. !! وعدنا إلى البحر .. !! .

*

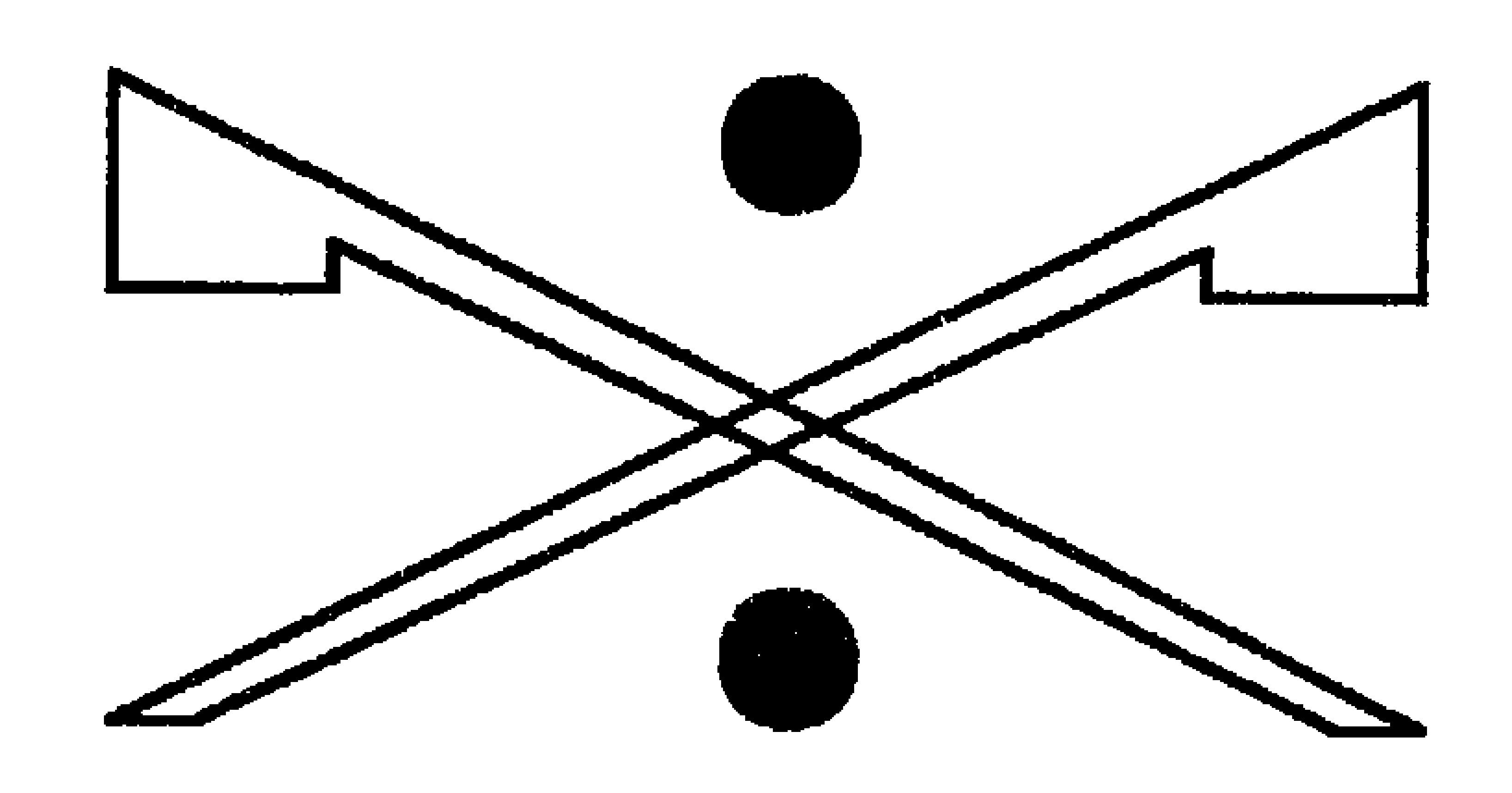
أنا بيكى أقول لكم إننى والخلان قد سافرنا فى ريح رخاء .. حتى ظهرت أمامنا العلامات التى أنبأت باقترابنا من مرفأ الطوالع .. حينئذ نظرت إلى الخلان فوجدت كل واحد منهم أطول مما كان فى الأول قبل السفر .. ورأيت على وجوهم السمرة عناء السفر ، والشيب قد تخلل الشوارب واللحى وجدائل الشعر المسترسلة قد ضرب فى ليلها نور النهار الآتى ..

*

وهنا ظهر نور الفجر ولاح فسكتت شهر زاد عن الكلام المباح ..

فقال شهريار : ياشهر زاد .. إنى قد أمرت الوزير" شمسان" بأن يأتينى بالبصير والسميع من الكتاب ، لأسجل هذه الألواح فى كتاب يكون أول الكتب التى يدرسها ويتعلم معانيها الكبار قبل الصغار .

– الرأى لمولاى .. ولاحول ولاقوة إلا بالله ... !!



الليلة الخامسة عشرة بعد الألف الأولى :

ـــــــــ قالت ، لنفسها ، شهر زاد

وهى فى طريقها إلى مجلسها مع شهريار : إنى لا بد لى من أن أستوثق لنفسى ولأولادى منك يا شهريار .. فقد مضى اليوم بعد

اليوم .. وتوالى انصرام الليالى بطلوع الصباح . وأنت لا تريد غير سماع الحكايات .. ولم يحدث مرة واحدة أن سألتنى عن الأولاد . !! "

فأبصر بها شهريار وهى على هذه الحال . فقال لها : فيم تفكرين يا شهرزاد

قالت : فى خلق الليل والنهار .. !!

قال : ونعم بالله خالقا ومدبرا .. العبد فى التفكير والرب فى التدبير .. !! إتخذى يا شهر زاد مجلسك وروقى البال ..

قالت : الحمد لله على كل حال .. أما بعد .. فقد بلغنى ، أيها الملك السعيد، ذو الرأى الرشيد ، أن المحبوب والخلان ، قد شاهدوا العلامات .. ورأوا الإمارات باقتراب السفينة من مرفأ " الطوالع " وهنا قال لهم المحبوب فى اللوح السادس :

" يا أيها الخلان .. البحر ساج والليل خيمة الستر .. فمن منكم يستطيع أن يتحسس لنا عورات الأرض ويعود إلينا بالأخبار .. ؟ ! .

فتطوع أربعة من الخلان لهذا المراد . وأنزلنا قاربا إلى الماء فغدوا ..

وبعد ساعة عادوا بالأنباء .. قال قائلهم : يا أيها الخلان .. لقد استطلعنا عورات الأرض ، ويظهر لى أننا قد غبنا فى الجزيرة زماناً طويلا ، تقول الأنباء إن الوزير " زيط " قد قضى على الملك " شيط " ، وأراد تولى عرش مصر ، والزواج من الأميرة الملكية ، طبقا للتقاليد القديمة .. إلا أن الوزير " معيط " قد أنقذها من هذا الزواج ، وأستطاع بعساكره أن يطرد الوزير " زيط ".. وقد ضرب الثوار الفريقين المتنازعين ضربا موجعا .. وتعددت بينهم الوقائع ، وقد انتهت الحروب بانتصار الوزير " معيط بن ممعطه " وهو على وشك تولى الملك والزواج من الأميره ..

أما ما كان من أمر الوزير " زيط " فقد فرّ من البلاد، ثم عاد، ونازل أتباع المحبوب ، وأسر ابنه " الريح " ، وكاد أن يوقع بحبيبه و " وداع " فى كمين ، نصبه مصادفة للنهب وقطع الطريق ..

قال : لابد من التمهل فى الدخول إلى مرفأ " الطوالع " فقد كبس الوزير "زيط " المرفأ بعد سفرنا فهدم وأحرق ، وطارد وطرد ، وقتل وجرح ، ثم لما لم يجد " المحبوب " هاج وماج ، وعبس وبسر ، وأنذر وعزّر ، وهدد وتوعد أن كل من يساعد " المحبوب " أو يخفيه .. ليكونن عبرة لمن لا يعتبر .. !!

وقال : سألنا عمن بقى من الأصحاب والخلان فلم يدلنا دليل ..

وقال : وسألنا عن ألواح صابر وفاكر " فقيل لنا : لم نسمع عن سفينة بهذا الاسم ولانعرف عنها شيئا .. !! .

إنى فكرت وقتاً ثم قلت للخلان : أنا من يريده العدو .. وأنتم مطلوبون للذبح .. ولست أحسب أن أي واحد منا سيرى زوجته وأولاده إلا فى حالين : الموت أو النصر .. فماذا ترون أنتم ؟! .

قال الخلان : القول هو ما قلت .. والمكتوب لنا سنشوفه .. فأشر علينا بما ترى فيه إحياءنا ..

قلت لهم : الحق يحيى والباطل يهلك .. فماذا تختارون ؟! .

قالوا : اخترنا الحق . .

قلت : وهو اختاركم حين أخترتموه ..

*

والسفين تقترب من الميناء نادوا علينا من الرصيف :

ـ من أنتم ؟

قلت بصوت قوى : نحن من الشرق البعيد . افتحوا البوغاز لندخل ونتكلم .. !! نحن جئنا للراحة والتجاره ..

فرفع الحراس سلسلة البوغاز ودخلنا .. لما نظروا إلى سفينتنا أعجبتهم ولما تحققوا منها حين اقتربنا أدهشتهم .. وسألوا : نحن لم نرَ سفينة مثل هذه السفينة فمن أين أتيتم ؟! .

قلت لهم : جئنا من بلاد فيها هذه الأخشاب كالحصى فى بلادكم ..

وطلبت من الخلان أن يقدموا للحراس هداياهم ففعلوا فسرت نفوس الحراس واطمأنت .. وعرضوا علينا خدماتهم ..

فقلت لهم : مرادنا أن تحرسوا السفينة وبعد أن نبيع ونشترى سنفعل معكم كل ما هو حسن ..

قالوا : حبا وكرامه ..

*

نزلنا إلى البر وأنتشرنا فى المرفأ .. وعاد منا من يبيع ويشترى وكانوا عشرة .. والأربعون رجلا وأنا دخلنا بر مصر وتوغلنا ..

أنا بيكى أقول : إني أحسست بكل شئ وكنت سليم الحواس .. وشعرت بكل شئ : الساخنُ والبارد .. الجميلُ والقبيح .. وبكلّ ضد وضده شعرتُ ، فتلذذت وتألمت .. ولما أستوعبت لذتى وألمى فهمت .. فلما فهمت شفت وأبصرت .. وكنت أدور فى هذا اللولب صعودا صعودا ، ولا منتهى لى فى هذا الصعود ، لهذا اتصلت مرة أخرى بكل ما انفصلت عنه فى برّ مصر ..

أنا بيكى أقول : إنى قد عدت أخيرا من المنافى والسفر .. فماذا رأيت ؟! .

* نار الحرب أحرقت .. والأحقاد تكاثرت .. والثأر يتربص .. والموت رابض بالباب يدير عجلة عظيمة قطرها السموات والأرض ..

* الطيور رأتنى فطارت فى الأعالى ونأت .. !!

* حيوان البر اختبأ .. ومن فى البحر غاص فى الأعماق الآمنه ..

الصيادون دخلوا بر مصر .. عيونهم تراقب .. وسلاحهم ينطق والفرائس تسقط أو تفر فراراً فراراً ..

*

أنا بيكي ناديت : إني أنا المحبوب وأنا الذي أحب .. !! عليكم الأمان .. فإن أجبتموني فلكم العرفان ولكم المنه . ونادى رفاق الطريق : سلام .. سلام .. سلام ..

فجاء جواب : عليكم السلام ..

نظرت فإذا هو يطير .. اقتربت منه ، وجدتها بومة قائمة في شجرة سنط قلت لها : يا خالتي عليك السلام ..

قالت : عليك السلام .. كيف تأتي لك أن تتكلم بلساني أنت وهؤلاء السواح .. ؟ .

قلت : أتأذنين لنا أيتها الخالة بحكاية الحكاية من بدئها حتى الآن .. ؟

قالت : إني منصته .. !!

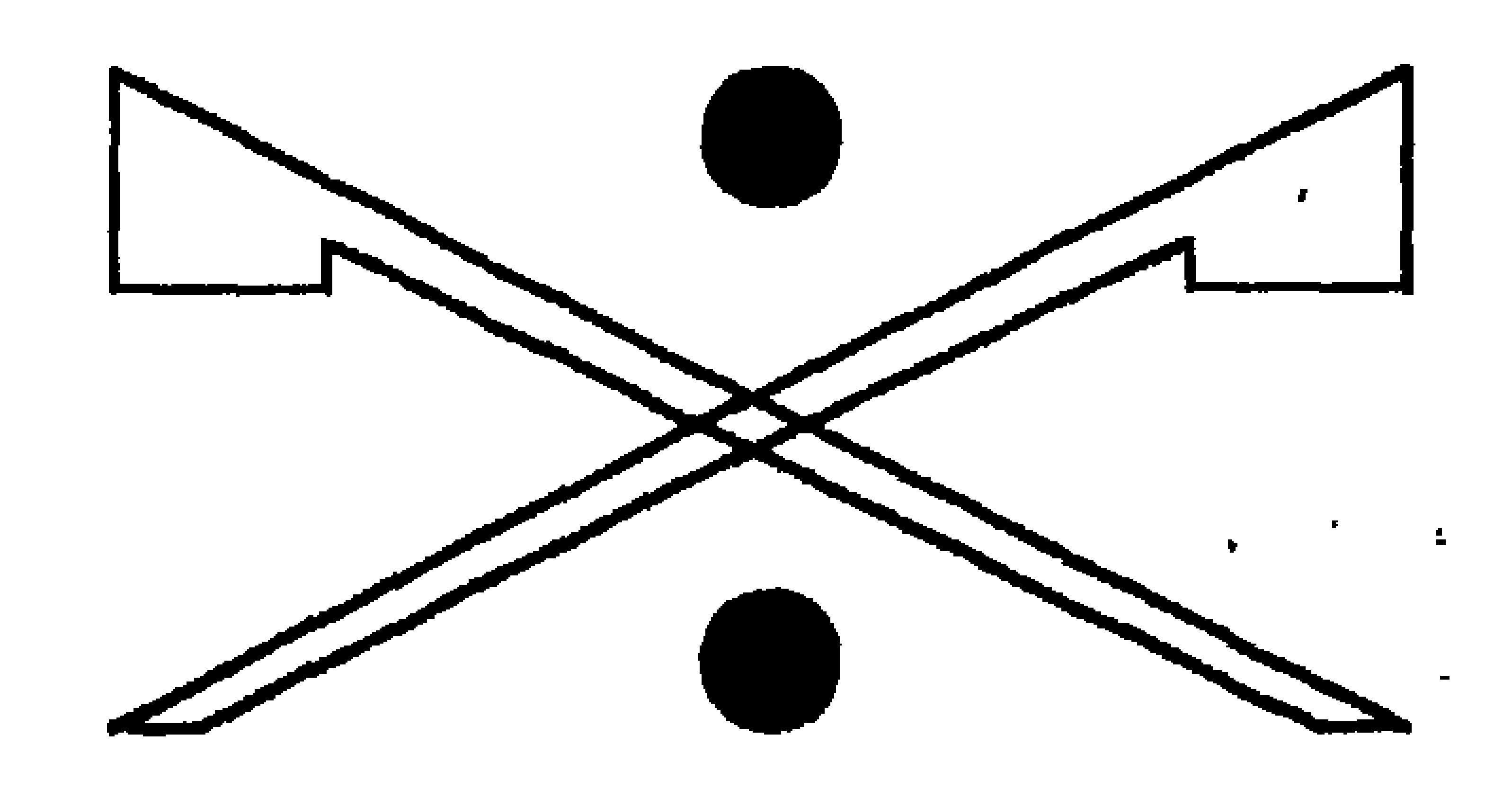
فلما انتهينا قالت : وما مطلوبكم ؟ ! .

قلت : أن نعرف السبيل إلى من نحب .. ليجتمع النائي على النائي ونرى الأهل والأصحاب .. !! .

فقالت : أذهبوا إلى قصر الملك فالطريق يبدأ من هناك .. !! أما أنا فلسوف أطير فى الليل معلنة الأنباء .. وسأزامل الكروان فى المهمة الجليلة .. !!

*

وظهر نور الفجر ولاح فسكتت شهر زاد عن الكلام المباح ... !!



الليلة السادسة عشرة بعد الألف الأولى:

ودخلت شهر زاد المجلس

فلم تجد شهريار .. قالت لنفسها : " لعلى قد بكرت فى القدوم .. " وفحصت ساعة البوابات فرأت أن أبواب ساعات الليل قد

فتحت وأغلقت .. تلهت بالتأمل فى الوجه الآخر من أبواب الساعات المغلقة من الليل .. رأت باب الساعة الأولى قد رسمت فيه الطيور والحيوانات النهارية تعود إلى مساكنها بينما إنسى يتفرج .. فى باب الساعة الثانية كانت طيور وحيوانات تستيقظ ، والانسى ناشرا ذراعيه " يقبض فى يمينه على سيف " وفى اليسرى حمل مشعلا .. فى باب الساعة الثالثة ، خرجت طيور الليل وحيوانه تسعى ، والانسى يأكل بيمينه ، والمشعل فى يساره ، وتحت قدميه سيف .. فى باب الساعة الرابعة ، طير الليل يصيد ، وحيوانه يأكل ، والانسى نائم والمشعل فوق رأسه ، والسلاح عن يمينه وشماله وتحت قدميه .. وإلى جانب رأسه كتاب .. باب الساعة الخامسة فيه الطيور الليلية وقد أكلت ، وحيوان الليل أكل، والانسى مستيقظ يسرى فى الليل فى يمناه سلاحه .. ونائم فى صورة مثل صورته فى باب الساعة الرابعة .. ودقت الساعة السادسة ، وظهر وجهها الآخر . فانتبهت على شهريار الذى قال :

ـ هذه الساعة كانت لأبى .. الملك الغيور ..

وتذكرت شهر زاد ألقابه .. وعادت الذكرى بها إلى طفولتها ، ودق فى مسمعيها أصوات المنادى والنفير ، وهزيم أقدام العسكر

الكثيف .. والناس بين راكع ومندهش ومتفرج .. والمنادى يعلن بالصوت الغليظ : " الملك الغيور ، والأسد الهصور . وليث البرارى والعبد المطيع للبارى .. ملك جزائر البحر وبلاد الكانكان .. صاحب الإنعام .. ومبيدا اللئام .. ومحيى الأبدان والنفوس بالإكرام .. "

فقالت شهر زاد :

- رحم الله من مات والبركة فى رأس مولاى .. !!

قال : هل لى فى مجلسنا المعتاد .. ؟!

قالت : حبا وكرامة لرافع لواء البلاد ، وراعى العباد ..

ثم قالت : بلغنى ، أيها الملك السعيد ، ذو الرأى الرشيد ، أنه بكلام البومة ، اختتم المحبوب لوحة السادس بحمد الله قديم الاحسان ، ثم إنه قال فى اللوح السابع :

" أنا بيكى ، وهذه ألواحى ، أقول : إنى قلت للخلان : تحسسوا الأخبار وتخيروا الوسائل .. فانطلقوا جماعات صغيرة .. كل جماعة مكونة من ثلاثة ، وحددنا لنا ساعة للقاء ، والنظر فيما نحن فيه من مقام .. ومقال ..

وتقلبنا فى بحر الليل ، وفى بحر النهار ، أياماً عديدة .. وفى الميعاد التقينا فقلت لهم : يا أيها الخلان .. إنى صرت مثلما كنتُ عليه فى الأول قبل المنافى والأسفار .. وبى أوجاع والآم فى جسدى ، فأنا فى النقاهه ..

قال الخلان : قد علمنا ذلك وعرفناه .. ونحن معك حتى تجد الشفاء .. قلت لهم : هاتوا ماوجدتم من أنباء ..

قال قائلهم : أنباء القصر تقول بأن الوزير " معيط " يجد مقاومة فى زواجه من الأميره ، لكن سدنه المعبد ، وكهان بيت الحياة الجديد ، يؤيدون هذا الزواج ، والعسكر ولاؤهم مقسم بين " زيط " " ومعيط " .. ومنذ تولى " معيط " وهو يعيد ترتيب الأمور فى المملكة ، وقد عين الكاهن " ليط " فى مكان الوزير " نطاط الحيط " .. وقد يكون الزواج قد تم بينما نحن فى كلامنا ..

وقال : أما الناس ، فهم فى شغل شاغل ، بالحديث عن المحبوب ، وما جرى على ابنه " الريح " وما قد يجرى على زوجته وابنته " وداع " ،، ويتردد فى حكايات الناس أن " المحبوب " قد عاد للظهور .. وأن كل شئ سيتغير إلى الحسن والأحسن .. ومنهم من يقول إن " المحبوب " قد هاجم الوزير " زيط " وشتت عسكره وخلص

" الريح " من الأسر ..

وقال : الناس فى سرور ، والحكايات عن الانتصارات تتكاثر ، وكلمات الأمل صارت تجرى على الألسنة فى الطرقات والأسواق .. والعسكر خائف ومستعد ..

وقال : ونرى أنه قد صار على المحبوب إظهار كرامة لمن أحب .. !!

قلت : وأنا معكم فيما رأيتموه من رأى .. فالتمسوا لنا من العزيز الجبار ، صاحب الحول والطول ، أن ينظر إلينا بعين إحسانه القديم ، وأن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى .. !!

*

ثم إننا جعلنا ، من أنفسنا ، دائرة واسعة حول القصر الملكى ، واتخذ كل واحد منا خلوة له مخفية عن الأعين بعيدة عن الرقباء ..

فى خلوتى رنّ وتر .. وحركت أصابع العناية القديمة الأوتار واحدا بعد واحد .. تحركت مزالج البوابات .. ودخلت أصوات قزم بلاد الأرواح من الأبواب المحببة ، واتسعت الرؤية والتحم زمانى بمكانى

فهتفت " حى ".. "حى " .. وما كان من الماضى السحيق أقبلت ركائبه .. فرسان وعرائس فى هوادج ، وقوافل طعام وبرٌ .. ذهبت إلى ذلك الرجل الذى سدّ الطريق ومنع الناس فلما رآنى مقبلا هتف بى : ماذا تريد ثم فرَّ من وجهى فرفعت عرق الخشب وقلت للناس : " من رأى منكم منكراً : فطأطأوا الرؤوس خجلا وطأطأت الرأس اعتبارا ..

ومشيت فى الطريق التى مشى فيها ابن الانسان ذاك .. أتعقب علامات .الساعة آملاً أن أعمال ابن آدم تغير المواعيد إذا عملها فأحسن العمل .. !!

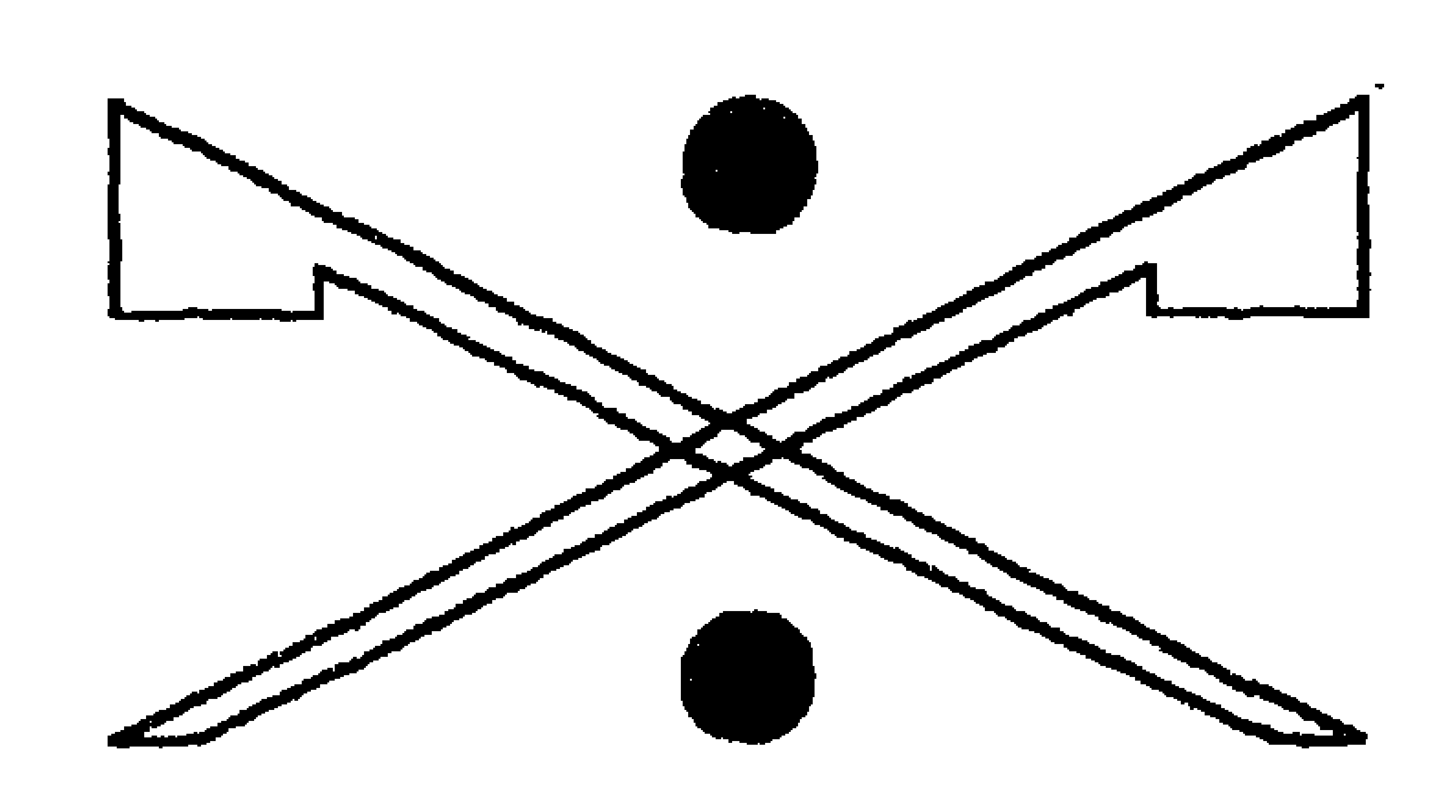
*

أنا بيكى ، قد تطهرت حين رأيت شيطانى قد حضر فشمرت عن زندى ونازلته منازلات شديده ، يوماً بعد يوم ، لم يغمض لى جفن حتى لا يملك فى غرّه .. عانيت فى النزال وجع القلب لأنه كان على صورتى حتى أن من يرانا لا يستطيع التمييز بيننا .. !!

*

قال شهريار : أو لم يكن بعد المنافى والأسفار والسياحات قد صرع شيطانه ؟ ! .

لم تجبه شهر زاد . وراحت عيناها نحو بوابة الساعة وهى تدق ، فنور القلق قد ظهر ولاح ، وسكتت هى عن الكلام المباح ، وفكرت فى نفسها : ما أبعد منية النفس والطريق طويل و " إنك لا تهدى من أحببت .. " .. والله المستعان ... !! .



الليلة السابعة عشرة بعد الألف الأولى :

ـــــــــــ وأستقر عزم شهر زاد

على أن تستمر فى الوداد والمؤانسة ، وتوكلت على ربها ، ووضعت لنفسها خطة المجالسة ؛ بعد أن أختلت بفكرها ، وقلبت وجوه النظر ، فيما طرأ على شهريار من تغيير ، وما تتطلع مراميها إليه .. بنفس هادئة .. وعقل حكيم .. طاوية باطنها على الخير .. حاكمة ظاهرها بالصبر الجميل .

وهكذا تقدمت بخطوات هادئة واثقه ، واتخذت مكانها المعتاد . وتبسمت لشهريار حتى أنس إليها ، واستبشر وبش لها . فقالت : بلغنى ، أيها الملك السعيد ، ذو الرأى الرشيد ، أن المحبوب بعد أن أخبر عن المنازلة مع شيطانه قال فى اللوح السابع :

" ثم إننا سمعنا منادي القصر ينادى : يا أهالى بر مصر .. هذا ما رأى الملك "معيط بن معطه " .. ، حفظه الله وأبقاه .. ؛ وأطال فى عمره ورعاه .. ، ورأيه الرأى الصواب .. رأى : أننا نعيش فى أيام جميلة ، وأن كل شئ إلى نمو وتحسن ، فالأشجار تزدهر ، والثمار تكثر ، وكل الأحياء تنسل ، والأميرة الملكية ، قد صارت ، بزواجها

الميمون من الملك المعظم ، الزوجة الملكية الكبرى .. لهذا يأمر مليكنا بفتح أبواب الفرح ، وقفل أبواب الحزن أربعين ليلة .. لا يكون فيها إلا الفرح لكل بر مصر المحروسه .. أسمعوا .. وعوا .. والحاضر يعلم الغايب ..

يا أهالى بر مصر احتفالا بمليكنا المعظم " معيط بن معطه " تفتح أبواب القصر والبستان لكل من هب ودب .. الرفيع والوضيع ، والغنى والفقير ، والصديق والعدو .. حبّاً فى الناس وكرامة من مليكنا .. حفظه الله ورعاه ... أدعوا له .. أدعوا له .. والحاضر يعلم الغايب وكل حى يقوم بالواجب .. !! " .

*

أنا بيكى ، قلت للخلاّن : فتح هذا الرجل على نفسه باباً لا سبيل له لإغلاقه .. فلنعلن للناس ، أيها الخلان ، أننى سأذهب إليه ، ويفعل الله ما يشاء ..

*

شاع الخبر وانتشر .. استبشر الناس بقرب الفرج .. وفى اليوم الثالث للفرح .. ذهبت إلى القصر .. وأعلنت بالصوت القوى :

ـ أنا بيكى الذى جعله الملك عدوا .. جئت أطلب اللقاء والمنازله .

اضطرب الحاضرون ، وأسرع الحرس ، فأحاطوا بى ، وقال قائد عشره : " وقعت فى الشبـــك .. أيهـــا الصيد الثمين .. أنت طلبة الملك .. "

غير أن الملك خرج فجأة من مخدعه .. وصاح يجيبنى بالصوت القوى : " لقد فتحت بابى للصديق والعدو .. وأنت آمن .. اقترب حتى أراك .. "

فتخلى الحرس .. وتقدمت ، فغرس فى عينى عينا فاحصه .. وعينا متلصصه .. وعينا أعتادت على وزن الرجال وعينا من أشد عيون السيـادة .. لم يجد طلبتـــه .. سأل : " جئت تطلب المنازلة .. ؟ ! " قلت : نعم ؟! فقال بترفع ملكى : حدد سلاحك وأشرعه .. " قلت : سلاحى همة ابن الإنسان .. " قال : إذن تنازل خادما من خدمى .. !!" قلت : " التحيات لك .. بل أنازلك .. !! " فقال منذراً : أنا رئيس بيت الحياة المطاع البنان .. ماذا تظن فى أمر همتى .. ؟ !!

سألته : ألم يقولوا لك فى بيت الحياة : هـــذا حق لا يشوبه

بهتان .. واقع لاشك فيه : ما ترى عيناك فوق رأسك فى السماء أو تحت رجليك فى الأرض ؟ ! قال : بلى .. قالوا ذلك .. !! " قلت : " أنظر .. كل هذه الأشياء انبثقت من واحد .. وبفكر صدرت عن واحد .. كل الأشياء مولودة من هذا الشئ .. الشمس والدهـا .. والقمر أمها .. والريح حملتها فى بطنها .. والأرض حاضنتها .. هنا ولد كل كمال فى العالم .. قوته وسلطته مطلقتان حينما تتحولات إلى تراب .. سأل : وبعد ؟ !

قلت : لو أنك تفصل التراب عن النار .. وتخرج الرقيق من الغليظ برفق ... برفق ورعايه .. ستراه صاعدا .. من الأرض إلى السماء ؛ وإلى الأرض يهبط ثانية .. ليتلقى القوة من الأشياء العليا ومن الأشياء الدنّية .. هنا تعرف أن ما هو فوق يشبه ما هو تحت فتشرق كلك ببهاء الكون وجلاله ... وتفر من أمامك المبهمات ؟ ! ..

ضحك الملك ضحكة مجلجلة وقال لى : فهل فرّت من أمامك المبهمات ؟ قلت لـه : أيها الملك .. أنا لست رئيسا رفيعاً لبيت الحياة .. أنت الرئيس .. إن ما تعلمته أنا وعشته كان البحث .. أما الكمال .. فهذه مزاعم يقولها رجالك .. أنت رئيس بيت الحياة .. والمفروض أنك قد عشت هذه الكلمات وجربتها .. فهل صارت همتك

فى مستوى حاجتك .. ؟ ! أم أنك على شريعة تقول بتجنب الخطأ .. ؟!

*

سكت الناس .. ونفر عرق الغضب فى جبهة الملك فزأر بصوت الأسد :

- إن كنت صادق الوجع فاخرج لى شيئا فأخرجْ لك شيئا ؟ ! لم أمهله .. أنا بيكى .. لم أمهله .. أخرجت له جوهرة المدّ فأخرج لى جوهرة الجذر، فا نكشفت الأرض ، وكان الطين .. !! .

أخرجت من الطين شجرة وارفه ، فأسقط عليها صاعقة ما حقة ،أعادتها رمادا فى الرماد ..

أرسلت إليه خرافاً ، فأطلق الملك عليها الذئاب .. أشرعت سيفاً ، فتلقاه بسيف .. تضارب السيفان ، وبشرر النار ، تفجر الحدآن .. ورأى الناس فى آخر الليل أن أحدهما لم يغلب .. ثم صعدت الشمس من الشرق .. سقطت العين فى العين .. هنا عرفت مقتلة ..

أخرجت له المرأة التى دخلت إلىّ وأنا فى الجزيرة .. فصرخ الملك

صرخة عظيمة .. من الطين تقدمتْ نحوه ، إنى رأيت الملك يتراجع فى دهشة وانبهار .. عيناها عليه .. فرعها الطويل يرتقى مدارج الصعود نحوه ، والشمس تضئ مفاتنها .. تراجع الملك .. هزّت أعرافها .، أنحنى عودها .. ماس واستطال .. سقطت عيناه ، فى عينيها فارتمى طائش اللبّ لاهث الأنفاس .. مرتعشا ..

لما وضعتْ يدها عليه سكن جسده الحى .. !! "

*

أدرك الناس ما حدث .. صرخ أحد الأعوان يستدعى الحرس .. وحين أقبلوا من كل صوب ، وجدوا الملك يحتضر .. فمه يقطر دما .. وعيناه تسيلان حزنا ..

هنا ظهرت الملكة .. وعادت بى الأيام القهقرى .. اقتربت من الملك . بسطت على وجهه منديلها .. اقتربت .. قالت : بيكى .. لقد مرّ زمان طويل .. أين كنت ؟ !! ..

أنا بيكى قلت لها : كنت فى سفر ؟ .

سألت : وهل رجعت .. ؟!

قلت : نعم ...

قالت : فاصعد الدرج ... وأنت المطاع .. !!

صعدت .. وضع الحرس السلاح .. فارتفع من الحناجر الهتاف .. وعلى القصر جاء الذين أحبونى من كل صوب ..

*

أنا بيكى أقول لكم : لم ينصرم النهار حتى علمت الحقائق .. لقد أخذ " زيط " زوجتى حبيبة إلى القصر وأخذ معها " الربح " و " وداع " ... وعاشت دهراً حتى إذا استولى "معيط" على بيت الحياة وقضى على الملك ، سمل عينيها وجعلها مغنية فى القصر ضمن المغنيات ... أما " وداع " فقد وجدتها فى الجوارى . و " الربح " اختفى ..

جئت بحبيبة ... سألتها ماذا فعلوا بك ... ؟! .

قالت : من فرط حزنى ابيضت عيناى .

سألتها : هل جئت إليك الآن .. أنا بيكى ؟ ! .

قالت : نعم .. أنت جئت ..

وضعت صدرى على صدرها ورأسى بالقرب من أنفها .. سألتها :

ـ هل تعرفين فىّ اليوم رائحة امرأة غريبة ؟ !

قالت : بل أنت مبرأ زكى العبق ... !!

*

أنا بيكى أقول لكم : إنى زوجت " وداع " لمن أحبها وأحبته من الخلان . ثم إنى عدت إلى مرفأ " الطوالع ".. وشرعت ، مع الخلان ، فى بناء بيت للحياة طبقا لتقاليد القديمة وللرؤى الحديثة ، فالزمان ممتد ، والأدوات مختلفة ، واللغة فسدت .. إن المهمة عسيرة .. وستظل كذلك لولا همة ابن الإنسان الذى يصلح ما فسد .. والله أعلم .. والحمد لله قديم الإحسان ..

أنا بيكى ، استغرقت اثنى عشر شهرا فى كتابة هذه الألواح ، وانتهيت منها فى اليوم الأول من الشهر الصغير .

*

وقالت شهر زاد : هذه ، يا مولاى الملك السعيد ، كانت ما وصل

إلى أيدينا ،حتى الآن ، من ألواح المحبوب بيكى .. والمأمول ، أن هنا لك ألواح له أخرى عشر عليها غير واحد من الناس ، وسيأتى ذكرها ، إن شاء الله" فقال شهر يار : قد أمرت بأن تكون أول كتاب فى دار الحياة وإنى أول من يقرأها ويفك رموزها .. !! .. ويعرف شيئا من كنوزها .. ؟ ! .

قالت شهر زاد : هدانا الله وإياك إلى فعل الصواب ..

*

ثم إنها حانت منها التفاتة إليه ، فالتقطت الكلام الذى فى نفسه من عينيه ، وتأكد لها مارأته حين رأت الصهد فى وجنتيه ، والعرق يسيل من فودية فى كل لحيته فتقدمت نحوه ، وأمسكت بكفها كفيه ، وأحست بهما باردتين ، فحنت عليه ، وقد حزرت حاله ، فقالت له :

ماذا أصاب مولاى

فبلّم شهر يار .. ونظر فى عينيها .. ولما همَّ بالكلام انحبس صوته فسكت قليلا ثم قال :

ـ لا تراعى .. !! .

ثم قال : فى حال المبتـدأ يا شهـر زاد كنت أظن أننا لن نفعل شيئا ، بالعودة إلى مجلسنا وإلى الحكايات ، غير استئناف مافات ، بعد أن أخذت منى الأمان .. لكننى الآن ، بعد أن سمعت ما سمعت ، قد وعيت بأشياء وأشياء .. وتذكرت أمورا تناسيتها .. وأموراً أخرى نسيتها .. وظاهر الحال ، يا شهر زاد ، أننى إما أن أكون قد وقعت فى البلبال .. أو أكون قد فتحت على نفسى باباً لا سبيل أمامى إلى إغلاقه ، بغير الفهم والتدبر ..

قالت شهر زاد : إنى فى حال المبتدا ، قد أشرت على مولاى ، حين طلب الطريق إلى معرفة لغات الطير والحيوان وسائر خلق الله ، بأن ندع المستور والمخفى ، وألا نسعى إلى ما يتعب القلب .. !! .

فقال شهريار بعد صمت وتفكير : لا والله يا شهر زاد .. فليس تعب القلب ما أخشى أو أهاب .. إنما هى أمور لا تعرفينها .. وأسرار ليس لى الآن أن أفشيها .. فاعلمى أنى بعد أن سمعت ما سمعت .. ووعيت ما وعيت قد عزمت على إنفاذ إرادتى فى بناء دار للحياه .. تحفظ العلوم القديمة وتعلم الآباء والأبناء .. !! .

فسألت شهر زاد : إذن .. فما الذى حيّر مولاى وأدخل فى فكره

البلبال ؟ فقال شهريار : الذى فعل بى ذلك هو ماحدث " للمحبوب " بعد أن داخلته رائحة امرأة غريبه .. !! .

ثم قال : أليس هذا كثير كثير فى مقابل ذنب صغير ؟ !

سكتت شهر زاد ثم سألت : مولاى الملك السعيد .. ذو الرأى الرشيد ، هل ترى فى صفات الرجال والنساء شيئا أحسن من الإخلاص ؟! .

قال : لا .. ليس أحسن من الإخلاص .. !!

فسألت شهر زاد : وهل يريد مولاى أن يستمر مجلسنا وتستمر الحكايات ؟! .

قال شهريار : نعم .. أحب ذلك سألت شهر زاد : فهل يسمح مولاى بأن أتمنى عليه ؟ .

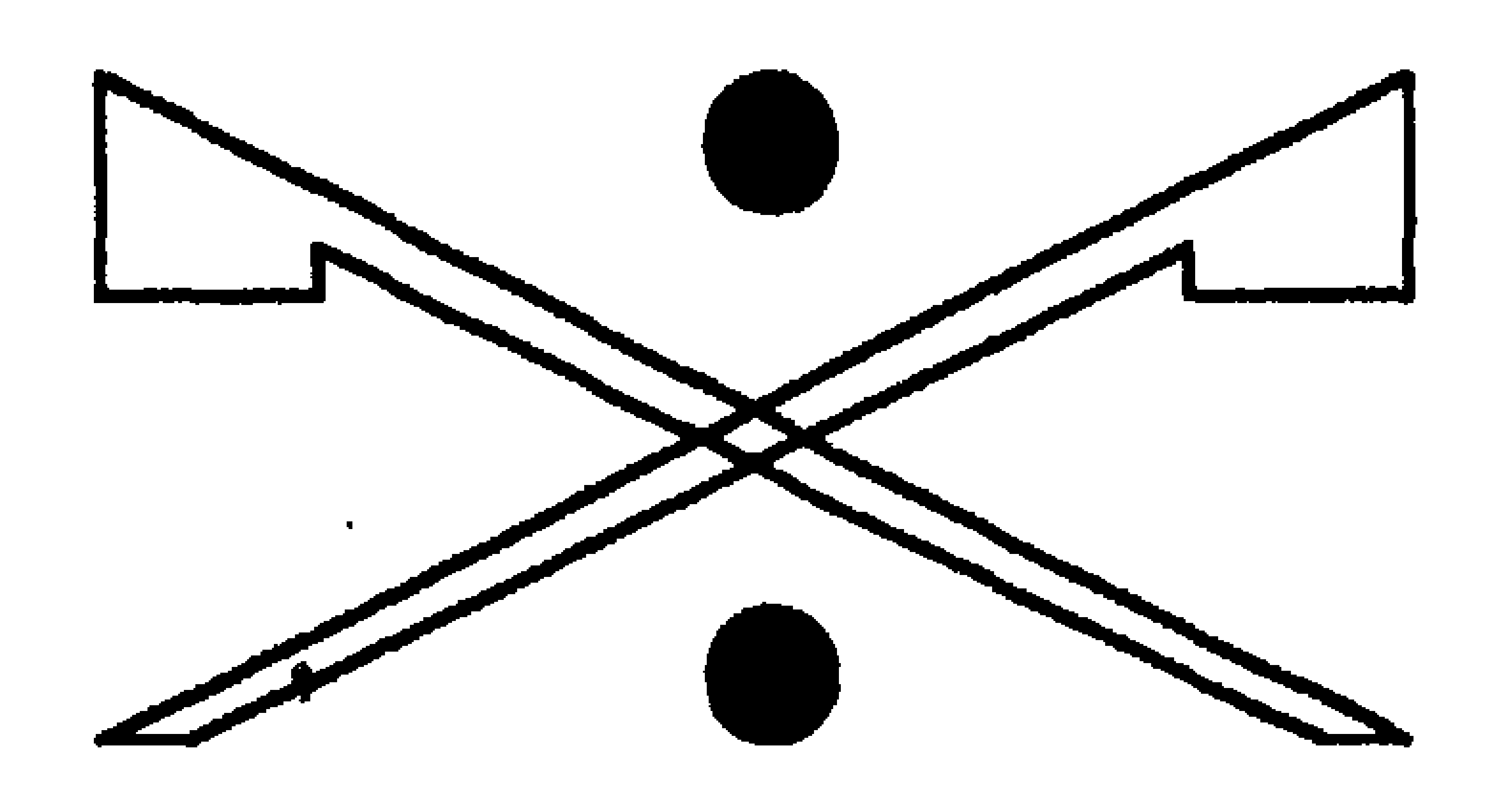
قال : تمنى يا شهر زاد ولك ما تتمنين .

قالت : تمنيت على مولاى الملك السعيد ، ذو الرأى الرشيد أن أحكى له حكاية ، أستوثق منه بها لنفسى ولأولادى .. !!

فاجأت الأمنية شهريار .. لكنه ملك .. وكلمة الملوك لاتُرد ..

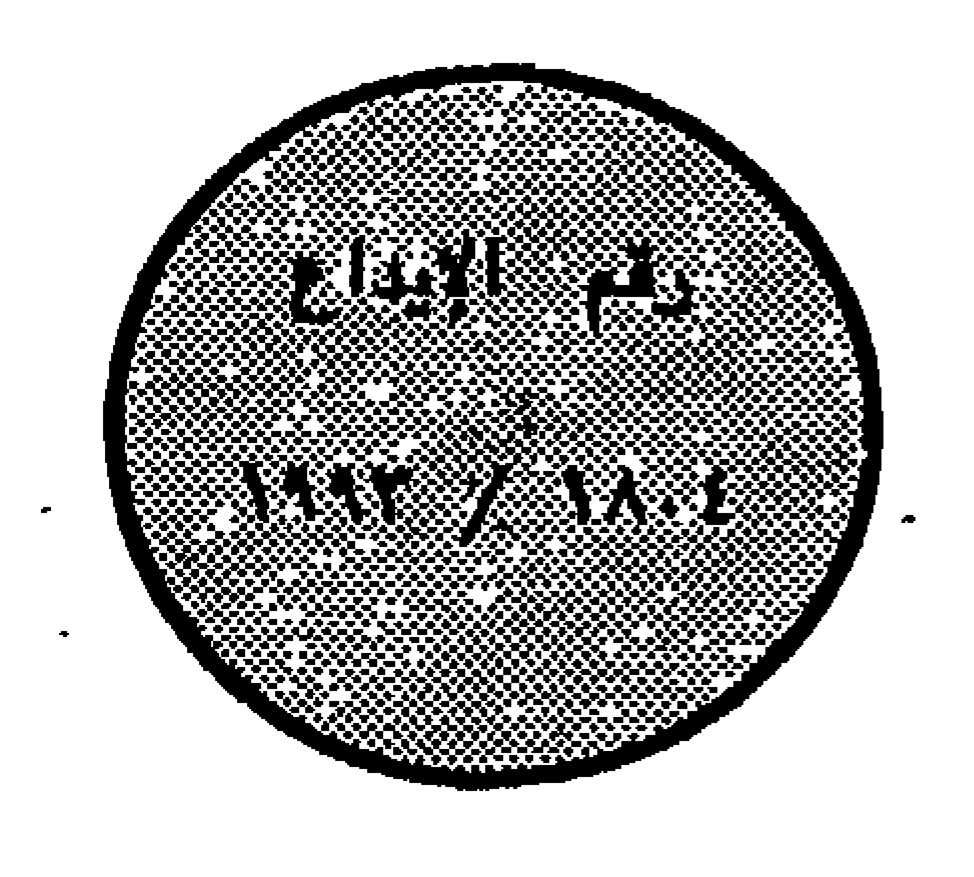
فقال لها : يا شهر زاد .. طلبك مجاب .. فما الحكاية ؟

قالت : هى حكاية : باتعه وبحُبُوح .. !! (1)



---

1 - انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثانى وفيه الحكاية المذكورة .



I . S . B . N

977 - 5192 - 12 - 9



إعداد وتجهيز فنى

الشركة العربية للنشر والتوزيع

١٣ شارع عدى - الدقى

ت - ٧٠١٠٣٩

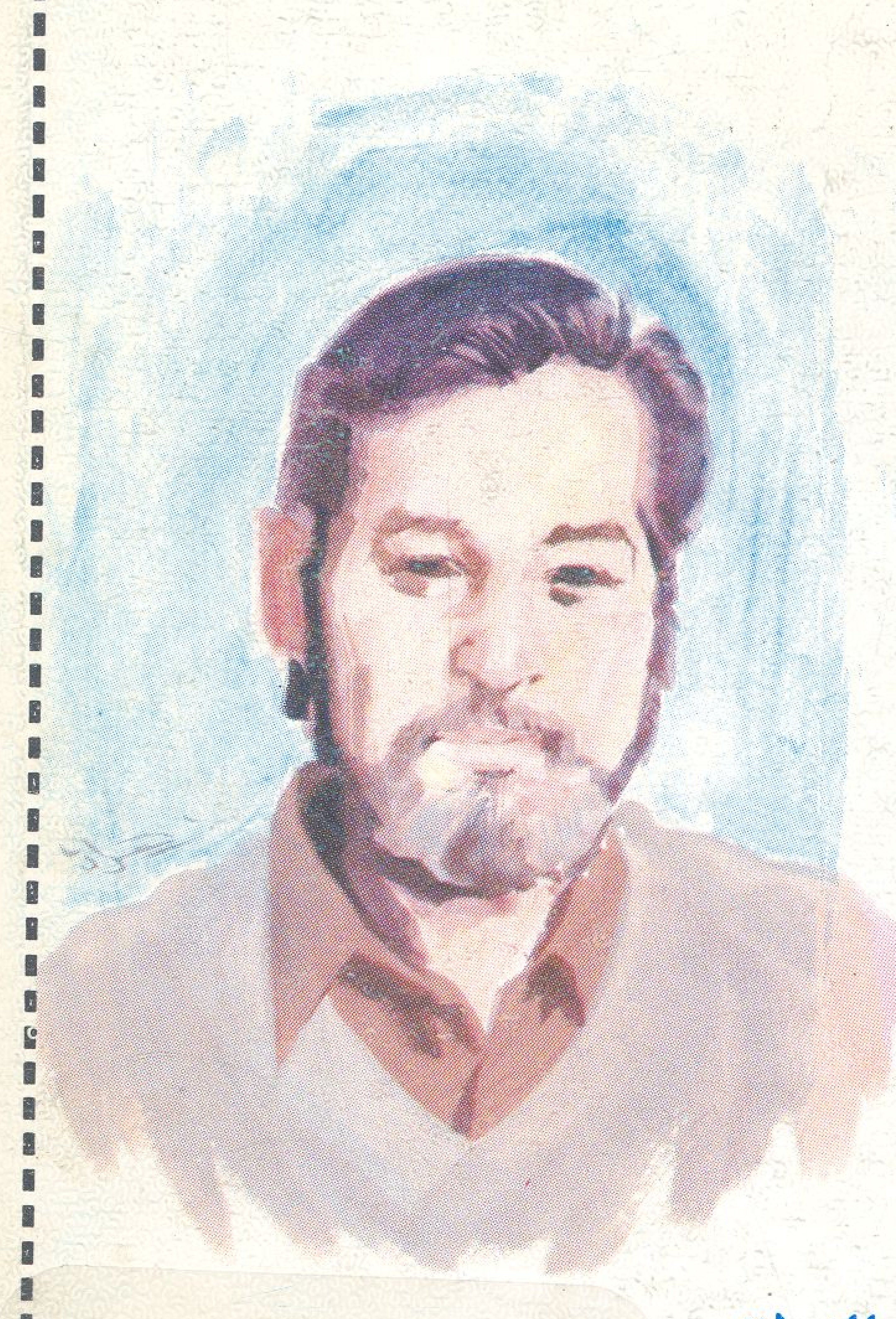
الكتاب :

هذا الكتـاب هو الأول ، فى سلسلة تضم الألف الثانيـة من الليالى ، التى حكتـهـا شهر زاد لشهريار .. وهو عمل أدبى متميز ، يرتبط عضويا بألف ليلة وليلة ، فيثريها ،ويثرى بها، من خلال الارتبـاطات العديدة بينهما .. كما يكشف فى آن واحد سطوحها، وسطوح عصرنا .. فيقدم لنا أشربة ، نحيا بها ، فى آنية تراثية ، لنعيد اكتـشـاف رؤانا ، ومـا تنطوى عليـه ذواتنا من قوى وإمكانيات ..

إنه رائحة جديدة ، وطعوم جديدة ، جديرة بالقراءة ، والاكتشاف . ونظرا لضخامة هذا العمل فإننا نقدمه على أجزاء ، يراودنا التقدير وحسن الظن بالمهتمين من القراء والنقاد ،مؤمنين بأن المبـدعين من الأدبـاء فى مـخـتلف بقـاع الوطن العربى - قـادرين على تنوير العـلاقات المعـقـدة بين التـراث والعصر بالجهد الخلاق والاخلاص فى التوجه .

الشركة العربية للنشر والتوزيع

محمد إبراهيم الحمرى



الكاتب :

من مواليد ١٩٣٩ - يصدر فى إبداعه
الأدبى عن رؤية خاص
أعماله التى صدرت قبل
ومن أبرز هذه الأعمال :
" مجموعة قصصية " و
مسرحية يؤمن بأن آفاق
للأدب العربى ممتدة وأننا
أخرى واسعة فى هذا ال
على الوعى العميق والانسانى بكل من
التراث والعصر ...